مقـامَـــةُ التـــَّوحيـــد

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

مقامَةُ التَّوحيد

قلنا يا شاعر البعث ، وعزة ربي ليخزينك يوم البعـث . يا شاعر الخمر والحشيشة ، قـد أرغـم أنفـك أبـو ريشـة ، فقال :

أمـــتي كـــم صـــنم لم يكن يحمـل طهـر

من يأخذ تعاليمه من باريس ، حشر مع شيخه إبليس .

يا مسكين ، تتعلم حروف الهجاء من بكين ، وتهجر رسالة نزل بها الروح الأمين ، على سيد المرسلين ، من رب العالمين .

يرضـع الوليـد حليـب التوحيـد ، حـتى يـأتيه الحليـب الصناعي من مدريد ، ليرتد المريد .

صوت التوحيد يرتفع على كل صـوت ، وقـوته خيـر مـن كل قوت ، لخصه أبو بكر فقال : من كان يعبد محمـداً فـإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت

لولا أن كلمة أحد ، فـي قلـب بلال مثـل جبـل أحـد ، مـا صمد .

التوحيـد لـه كتـاب ، ولـه قلـم جـذّاب ، ومـداد جميـل ، وكاتب جليل ، فكتابه الكون وما فيه ، وقلمـه قلبـك النـبيه ، ومداده دمعك المترقرق ، والكاتب إيمانك المتدفق .

التوحيد له رسالة أبديـة ، ودعـوة سـرمدية ، ولأصـحابه إلـى مسـتقرهم ممـر ، وبعـد مرورهـم مسـتقر . فرسـالة التوحيد إفراد البـاري بـالألوهيه ، والربـوبيه ، ودعـوته اتبـاع سيد البشريه ، ورسول الإنسانيه . وممر أصـحابه الصـراط المستقيم ، ومستقرهم جنات النعيم .

للتوحيد منبر ، ومخبر ومظهر ، ومسك وعنبر .

فمنبره القلـب ، إذا أخلـص للـرب ، **ومخبره** النيـات الصـالحات ، **ومظهره** عمـل بالأركـان ، وخدمـة للـديان ، **ومسكه** الدعاء والأذكار ، **وعنبره** التوبة والاستغفار .

للتوحيـد عيـن وبسـتان ، وحـرس وسـلطان ، وسيف وميدان .

فعينه النصوص الواضحه ، **وبستانه** الأعمال الصالحه ، **وحرسه** الخوف والرجـاء ، **وسلطانه** واعـظ اللـه فـي القلب صباح مسـاء ، **وسيفه** الجهـاد ، **وميـدانه** حركـات العباد .

وللتوحيـد قضـاة وشـهود ، وأعلام وجنـود وحدود وقيود .

فقضاته الرسل الكرام ، **وشهوده** العلمـاء الأعلام ، **وأعلامه** شعائر الـدين ، **وجنوده** فيلـق مـن الموحـدين ، **وحدوده** ما جاء به الخبر ، وصح به الأثر ، **وقيوده** مـا ورد من شروط ، للتوحيد المضبوط .

من دعائم التوحيـد ، عـدم صـرف شـيء مـن العبـادة لغير المعبود ، وتحريـم تقـديم شـيء مـن لـوازم الألوهيـة لغيـر اللـه ممـا فـي الوجـود ، وركيزتـه إخلاص ليـس فيـه رياء ، وعلامته إخبات ليس معه ادعاء .

فلا تُعبد النجوم ولكن يُعبـد مُركبهـا ، ولا تعبـد الكـواكب بل يعبد مكوكبها ، ولا يُؤلّه حجـر ، ولا بشـر ، ولا شـجر ، ولا مدر ، بل يؤلّه من فجر من الحجـر المـاء ، وأوجـد الأحيـاء ، وخلق الشـجر كأنهـا أصـابع الأوليـاء ، فسـبحان رب الأرض والسماء .

الـوحي هـز أبـا جهـل هـزّا ، لأنـه يتهـزّى ، وسـجد للاّت والعزّا . قاتل الله هبل ، ومن طاف حوله ورمل ، أو نذر لـه أيّ عمل ، يا من خـاف علـى نفسـه مـن الحريـق ، والـدمار والتمزيق ، احذر من الشرك .

وضع أحدُ الظلمة أحدَ الأولياء ، بين يدي الأسد ليتركه أشلاء ، شمّه الأسد ثم تركه وذهب ، قيل للولي : لماذا تركك ؟ قال : بسبب التوحيد وهو أعظم سبب ، قالوا : فماذا كنت تفكر ؟ قال : كنت أفكر في سؤر الأسد هل هو طاهر أم نجس يطهر .

واعلم أن صدق التوحيد أقام بعض الأولياء ، فـي الليلـة الظلماء ، في ذروة الشـتاء ، يتوضـأ بالمـاء ، ويقطـع الليـل بالصـلاة والـدعاء ، والمناجـاة والبكـاء ، وحـرارة التوحيـد أيقظت في الصالحين ، ذكر الله كل حيـن ، فلهـم بالتسـبيح زجل وحنين ، وعزيمة التوحيد دفعـت المنفقيـن ، وجعلتهـم بأموالهم متصدقين ، على الفقراء والمساكين .

إذا نـاداك نـوح التوحيـد ، وقـال اركـب معنـا أيهـا العبـد الرشيد ، فلا تفوتك سفينة الحميد المجيد ، وَجَدَ إبراهيم بـن أدهم ورقة مكتوب فيهـا **الله** وقـد سـقطت فـي الطريـق فبكى وحملها ، وطهرها وطيبها ، فطهر الله نفسه ، وطيّـب اسمه ، وقد أوصى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل ، أن يكون أول ما يدعو إليـه توحيـد اللـه عـز وجـل . وكـان يبـدأ بالتوحيد خطبه ، ويخط بـه كتبـه ، ويـدعو إليـه ليلاً ونهـارا ، وسراً وجهارا .

المقـامَـــة الإلـهيـــة

 إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا

((سـبحانك ما عبـدناك حـق عبـادتك))

تأمل في نبات الأرض إلــى آثــار مــا صــنع
وانظـــــــــــــر المليـــــــــــــك
عيـــون مـــن لجيـــن بأحـداق هـي الـذهب
شاخصـــــــــــات الســـــــــــبيك

الله رحيم لطيف ، الله بيده الأمر والتصريف ، الله أعرف المعارف لا يحتاج إلى تعريف ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، ولا نرجو سواه ، عظيم السلطان والجاه ، أفلح من دعاه ، وسعد من رجاه ، وفاز من تولاه ، سبحان من خلق وهدى ، ولم يخلق الخلق سدى ، عظم سلطانه ، ارتفع ميزانه ، وجمل إحسانه ، كثر امتنانه .

إليـــك وإلا لا تشـــد ومنــك وإلا فالمــؤل
الركـــــــــائب خـــــــــائبُ
وفيـك وإلا فالغـرام وعنك وإلا فالمحـدث

علام الغيوب ، غفار الذنوب ، ستار العيوب ، كاشف الكروب ، ميسر الخطوب ، مقدر المكتوب ، عظمت بركاته ، حسنت صفاته ، بهرت آياته ، أعجزت بيناته ، أفحمت معجزاته ، جلت أسماؤه ، عمت آلاؤه ، امتلأت بحمده أرضه وسماؤه ، كثرت نعماؤه ، حسن بلاؤه . ما أحسن قيله ، ما أجمل تفصيله ، ما أبهى تنـزيله ، ما أسرع

تسهيله ، ليس إلا الخضوع له وسيلة ، وليس لما يقضيه حيلة .

قـد كنـت أشـفق مـن فــاليوم كــل عزيــز
دمعــي علــى بصــري بعـــــدكم هانـــــا
واللهِ ما ذكرتـ نفسي ... إلا أبيتـ دموع العين

يسقي ويطعم ، يقضي ويحكم ، ينسخ ويبرم ، يقصم ويفصم ، يهين ويكرم ، يروي ويشبع ، يصل ويقطع ، يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يرى ويسمع ، ينصر ويقمع وليّه مأجور ، والسعي إليه مبرور ، والعمل له مشكور ، وحزبه منصور ، وعدوّه مدحور وخصمه مبتور ، يسحق الطغاة ، يمحق العصاة ، يدمر العتاة ، يمزق من آذاه .

سبحان من لو على لظى الجمر
سجدنا بالجباه له والمحمى من الأبرِ
لم نبلغ العشر من ولا العشير ولم عشر

من انتصر به ما ذل ، ومن اهتدى بهداه ما ضل ، ومن اتقاه ما ذل ، ومن طلب غناه ما قل ، له الكبرياء والجبروت عز وجل .تم كمالهُ ، حسن جماله ، تقدس جلاله ، كرمت أفعاله ، أصابت أقواله ، نصر أوليائَه ، خذل أعدائَه ، قرّب أحبائه . اطلع فستر ، علم فغفر ، حلم بعد أن قدر ، زاد من شكر ، ذكر من ذكر ، قصم من كفر .

يا رب أول شيء قاله أني ذكرتك في سري
خلـــــــــــدي وإعلانـــــــــــي
فوالــذى قــد هــدى لأذهــن يــوحى منـك

لو أن الأقلام هي الشجر ، والمداد هو المطر ، والكتبة هم البشر ، ثم أثنى عليه بالمدح من شكر ، لما بلغوا ذرة مما

يستحقه جل في علاه وقهر . اعمر جنانك بحبه ، أصلح زمانك بقربه ، اشغل لسانك بمديحه ، احفظ وقتك بتسبيحه . العزيز من حماه ، المحظوظ من اجتباه ، الغني من أغناه ، السعيد من تولاه ، المحفوظ من رعاه . أرسل الرسل أفنى الدول ، هدى السبيل ، أبرم الحيل ، غفر الزلل ، شفى العلل ، ستر الخلل .

مهما كتبنا فــي علاك ... بالــدمع خطــت أو دم
قصـــــــــــائداً ... الأجفـــــــــــان
فلأنــت أعظــم مــن ... وأجــل ممــا دار فــي

في حبك عذب بلال بن رباح ، وفي سبيلك هانت الجراح ، لدى عبيدة بن الجراح، ومن أجلك عرض مصعب صدره للرماح . ولإعلاء كلمتك قطعت يدا جعفر ، وتجندل على التراب وتعفر ، ومزق عكرمة في حرب بني الأصفر . أحبك حنظلة فترك عرسه ، وأهدى رأسه ، وقدّم نفسه ، وأحبك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء ، وجرت منه الدماء ، وشيعته الملائكة الكرماء ، واهتز له العرش من فوق السماء .

وأحبك حمزة سيد الشهداء ، فصال في الهيجاء ، ونازل الأعداء ، ثم سلم روحه ثمناً للجنة هاء وهاء . من أجلك سهرت عيون المتهجدين ، وتعبت أقدام العابدين ، وانحنت ظهور الساجدين ، وحلقت رؤوس الحجاج والمعتمرين ، وجاعت بطون الصائمين ، وطارت نفوس المجاهدين .

يــا ربــي حمــداً ليــس ... يا من له كل الخلائــق
غيـــــرك يحمـــــد ... تصـــــــــــــمدُ
أبواب كـل مملّـك قـد ... ورأيت بابك واسـعاً لا

أقلام العلماء ، تكتب فيه الثناء ، صباح مساء ، الرماح في ساحة الجهاد ، والسيوف الحداد ، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد ، جل عن الأنداد والأضداد .

للمساجد دوي بذكره ، للطيور تغريد بشكره ، وللملائكة نزول بأمره ، حارت الأفكار في علو قدره ، وتمام قهره .

من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عياله ، ولمرضاتك أنفق أمواله وأعماله ، وفي محبتك قتل الفاروق ومزق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك دمعه ترقرق . ودفع عثمان أمواله لترضى ، فما ترك مالاً ولا أرضا ، جعلها عندك قرضا . وقدَّم عليٌّ رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجد ، وفي بيتك يتعبد فما تردد .

أرواحنـا يـا رب فـوق نرجـو ثوابـك مغنمـا
أكفنـــــــــا وجـــــــــوارا
لـــم نخـــش طاغوتـــاً نصـــب المنايـا حولنـا
بحار بنـــــا ولـــــه أســـــــــوارا

تفردت بالبقاء ، وكتبت على غيرك الفناء ، لك العزة والكبرياء ، ولك أجل الصفات وأحسن الأسماء . أنت عالم الغيب ، البريء من كل عيب ، تكتب المقدور ، وتعلم ما في الصدور ، وتبعثر ما في القبور ، وأنت الحاكم يوم النشور . ملكك عظيم ، جنابك كريم ، نهجك قويم ، أخذك أليم ، وأنت الرحيم الحليم الكريم .

من الذي سألك فما أعطيته ، والذي دعاك فما لبيته ، ومن الذي استنصرك فما نصرته ، ومن الذي حاربك فما خذلته . لا عيب في أسمائك لأنها حسنى ، لا نقص في صفاتك لأنها عليا . حي لا تموت ، حاضر لا تفوت ، لا تحتاج إلى القوت ، لك الكبرياء والجبروت ، والعزة والملكوت .

المقامةُ الإلهية

لـو أن أنفـاس العبـاد حفلـت بمـدحك فـي
قصـــــــــائد جلال علاكـــــــــا
لأدركـــت لمحـــة تحـــت عـــرش مجـــدك الأســـنى

كسرت ظهور الأكاسرة ، قصّرت آمال القياصرة ، هدمت معاقل الجبابرة ، وأرديتهم في الحافرة . من أطاعك أكرمته ، من خالفك أدّبته ، من عاداك سحقته ، من نادّك محقته ، من صادّك مزّقته .

تصمد إليك الكائنات ، تعنو إليك المخلوقات ، تجيب الدعوات ، بشتى اللغات ، وبمختلف اللهجات ، على تعدد الحاجات ، تفرج الكربات ، تظهر الآيات ، تعلم النيات وتظهر الخفيات ، تحيي الأموات . دعاك الخليل وقد وضع في المنجنيق ، وأوشك على الحريق ، ولم يجد لسواك طريق ، فلما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، صارت النار عليه برداً وسلاماً في ظل ظليل ، بقدرتك يا جليل . وفلقت البحر للكليم ، وقد فر من فرعون الأثيم ، فمهدت له في الماء الطريق المستقيم . ودعاك المختار ، في الغار ، لما أحاط به الكفار ، فحميته من الأشرار ، وحفظته من الفجار . قريب تجيب كل حبيب .

مـــا أنـــت بالســـبب الضـــعيف وإنمـــا أنــت القــوي الواحــد القهـــــــار

لو أن الثناء ، لرب الأرض والسماء ، كتب بدماء الأولياء ، على خدود الأحياء ، لقرأت في تلك الخدود ، صحائف من مدح المعبود ، صاحب الجود ، بلا حدود .

ألسنة الخلق أقلام الحق ، فما لها لا تنطق بالصدق ، وتوحده بذاك النطق . لا تمن عليه دمعة في محراب ، فقد مزق من أجله عمر بن الخطاب ، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تشير ، وقد نشر الأولياء في حبه بالمناشير .

فاز بلال لأنه ردد أحد أحد ، ودخل رجل الجنة لأنه أحب قل هو الله أحد ، ومدح سبحانه نفسه فقال : الله الصمد ، ورد على المشركين فقال : لم يلد ولم يولد .

سبحان من تحدى بالذباب المشركين ، وضرب العنكبوت مثلاً للضالين ، وذكر خلقه للبعوض إزراءً بالكافرين ، وحمل الهدهد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين ، وأهلك ناقه أعداءه المعارضين . خلق الأبرار والفجار ، والمسلمين والكفار ، والليل والنهار ، والجنة والنار، وأنزل كل شيء بمقدار . في القرآن برهانه ، في الكائنات امتنانه ، للمؤمنين إحسانه ، في الجنة رضوانه ، عم الكون سلطانه ، اللهم يا ذا العرش المجيد ، أنت المبدئ المعيد ، أنت الفعال لما تريد ، أنت ذا البطش الشديد ، لا ضد لك ولا نديد ، كورت الليل والنهار ، وجعلت النور في الأبصار ، وحببت العبادة إلى الأبرار ، وأجريت الماء في الأشجار ، أنت الملك الجبار ، والقوي القهار ، والعزيز الغفار ، أسألك بالأسماء التي بالسمو معروفة ، وأسألك بالصفات التي هي بالمجد موصوفة .

المقامَةُ الالهية

عن كل عيب تنـزهت ، وعن كل نقص تقدست ، وعلى كل حال تباركت ، وعن كل شين تعاليت ، منك الإمداد ، ومن لدنك الإرشاد ، ومن عندك الاستعداد ، وعليك الاعتماد ، وإليك يلجأ العباد ، في النوازل الشداد . حبوت الكائنات رحمةً وفضلا، ووسعت المخلوقات حكمةً وعدلا ، لا يكون إلا ما تريد ، تشكر فتزيد ، وتكفر فتبيد ، تفردت بالملك فقهرت ، وتوحدت بالربوبية فقدرت، تزيد من شكرك ، وتذكر من ذكرك ، وتمحق من كفرك ، حارت في حكمتك العقول ، وصارت من بديع صنعك في ذهول ، أدهشت بعجائب خلقك الألباب ، وأذهلت الخلائق بالحكم والأسباب ، باب جود عطائك مفتوح ، ونوالك لمن أطاعك وعصاك ممنوح ، وهباتك لكل كائن تغدو وتروح . لك السؤدد ، فمن ساد فبمجدك يسود ، وعندك الخزائن فمن جاد فمن جودك يجود ، صمد أنت فإليك الخلائق تصمد ، مقصود أنت فإليك القلوب تقصد ، تغلق الأبواب

عن الطالبين إلا بابك ، ويسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك ، خصصت نفسك بالبقاء فأهلكت من سواك ، وأفردت نفسك بالملك فأهلكت من عداك، لا نعبد إلا إياك ، ولا نهتدي إلا بهداك ، أقمت الحجة فليس لمعترض كلام ، وأوضحت المحجة فليس لضال إمام . شرعت الشرائع فكانت لك الحجة البالغة على الضلال ، وبينت السنن فما حاد عنها إلا الجهال ، نوعت العقوبة لمن عصاك ، وغايرت بين النكال لمن عاداك ، جعلت أسباب حياته مماته ، علة إنطاقه إسكاته ، أحييت بالماء وبه قتلت ، وأنعشت الأرواح بالهواء وبه أمت ، أشهد أنك متوحد بالربوبية ، متفرد بالألوهية ، أنت الملك الحق المبين ، وأنت إله العالمين ، وكنف المستضعفين ، وأمل المساكين ، وقاصم الجبارين ، وقامع المستكبرين .

المقامَةُ الالهية

ولما جعلت التوحيد شعاري ، مدحت ربي بأشعاري ، فقلت في مدح الباري :

هذا أريـج الزهـر مـن شعر كأن الفجـر فـي
بســـــــــــتانه أجفـــــــــــانه
السـحر مــن إخــوانه أخدانه والحسـن مـن
والحـــــب مـــــن أعـــــــــوانه
أنـا مـا رويـت الشـعر وما رتلت آي الحسـن
مـــــن رومـــــا مـــــن لبنـــــانه
كلا ومـا سـاجلت مـن أو حطـان أو مجنـونه
عمـــــــــران أو قبـــــــانه
دع لامـــرئ القيـــس يلقي قفـا نبـك علـى
الغـــــويّ ضـــــلاله شـــــــيطانه
ضل الهداية شكسبير إلا نزيـف الـوهم مـن
فمـــــــــا روى هـــــــــذيانه
لما دعوت الشعر جـاء يسقى كؤوس الشعر
ملبيـــــــــــا مـــــن حســـــانه
فعففـــت عـــن مـــدح لا تمـدحن العبـد فـي
الأنـــــام ترفعـــــاً طغيـــــــــانه
لا سيف ذي يزن يتوج أو شـكر نابغـة علـى
مـــــــــــدحتي ذبيـــــــــانه
أو عاد أو شــداد أو ذو يُنمـى إلـى عـدنان أو
منصـــــــــــب قحطـــــــــانه
ملك الملـوك قصـدته فتراكض الإبداع فـي
ومـــــــــــدحته ميـــــــــــدانه
واللـه لـو أن السـماء والمزن يمطرها على
صـــــــــــحيفة إبـــــــــانه
والـــدوح أقلام وقـــد مـدح المهيمـن فـي
كتـــــب الـــــورى جلالـــــة شـــــأنه

والهدهـــد احتمـــل يدعو إلى التوحيد من
الرســـالة غاضـــباً إيمـــــــــــــانه
غضـباً علـى بلقيـس فسعى لنسف الملـك
تعبـــــد شمســـــها مـــــن أركـــــانه
[illegible]

اللهـم صـلى وسـلم علـى نبيـك خـاتم المرسـلين ، ورسول الناس أجمعين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

المقـامَــة الـنَّبـويَّـــة

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

صلى عليك الله يـا ... واستبشـــــــرت
علـــــم الهـــــدى ... بقـــدومك الأيـــامُ
هتفـت لـك الأرواح ... وانبنـت بحـديثك

ما أحسن الاسـم والمسـمَّى ، وهـو النـبي العظيـم فـي سورة عمّ ، إذا ذكرته هلت الدموع السواكب ، وإذا تـذكرته أقبلت الذكريات من كل جانب .

وكنت إذا ما اشـتدّ بـي ... وكـادت عـرى الصـبرِ
الشـــوق والجـــوى ... الجميـــل تفصـــمُ
أعلّل نفسي بـالتلاقي ... وأوهمهـــا لكنّنهـــا

المتعبد في غار حراء ، صاحب الشريعة الغراء ، والملـة السمحاء ، والحنيفية البيضاء ، وصاحب الشفاعة والإسراء ، له المقام المحمود ، واللواء المعقود ، والحـوض المـورود ، هــو المــذكور فــي التــوراة والإنجيــل ، وصــاحب الغــرة والتحجيل ، والمؤيد بجبريل ، خاتم الأنبياء ، وصاحب صـفوة الأولياء ، إمام الصالحين ، وقدوة المفلحين .

إن كل أحبت بعد الله بدوحضر عجمِ
مثـك في بالقـل
شتى نظى لسديـد

مرحباً بالحبيب والأريب والنجيب الذي إذا تحدثت عنه تزاحمت الذكريات ، وتسابقت المشاهد والمقالات .

صلى الله على ذاك القدوة مـا أحلاه ، وسـلم اللـه ذاك الوجه مـا أبهـاه ، وبـارك اللـه علـى ذاك الأسـوة مـا أكملـه وأعلاه ، علم الأمة الصدق وكانت في صحراء الكذب هائمـة ، وأرشدها إلى الحق وكانت فـي ظلمـات الباطـل عائمـة ، وقادها إلى النور وكانت في دياجير الزور قائمة .

وشب طفل الهدى
بالخير متزّراً بالنور والنار
في كفه شعلة تهدي
عقيـدة تتحـدى كـل جبـارِ

كانت الأمة قبله في سبات عميق ، وفي حضـيض مـن الجهل سـحيق ، فبعثـه اللـه علـى فـترة مـن المرسـلين ، وانقطاع من النبيين ، فأقام الله به الميزان ، وأنـزل عليـه القرآن ، وفرق به الكفـر والبهتـان ، وحطمـت بـه الأوثـان والصـلبان ، للأمـم رمـوز يخطئـون ويصـيبون ، ويسـدّدون ويغلطون ، لكن رسولنا صلى الله عليه وسلم معصوم من الزلل ، محفوظ من الخلل ، سليم من العلل ، عصم قلبـه من الزيغ والهـوى ، فمـا ضـل أبـداً ومـا غـوى ، إنْ هـو إلا وحي يوحى .

للشـعوب قـادات لكنهـم ليسـوا بمعصـومين ، ولهـم سادات لكنهم ليسوا بالنبوة موسومين ، أما قائـدنا وسـيدنا فمعصوم من الانحراف ، محفوف بالعناية والألطاف .

أثني علىَ مَنْ أتدري
أمـا علمـت بمـن أهـديتُه
فـي أصـدقَ النـاس

وأثبـت النـاس قلبـاً غيـر المقامَة النّاسوتيّة

قصـارى مـا يطلبـه سـادات الـدنيا قصـور مشـيدة ، وعساكر ترفع الـولاء مؤيـدة، وخيـول مسـومة فـي ملكهـم مقيدة ، وقناطير مقنطرة في خزائنهم مخلدة ، وخـدم فـي راحتهم معبدة.

أما محمّد عليه الصلاة والسلام فغاية مطلـوبه ، ونهايـة مرغوبه ، أن يعبد اللـه فلا يشـرك بـه معـه أحـد ، لأنـه فـرد صمد ،لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يسكن بيتاً من الطين ، وأتباعه يجتاحون قصور كسـرى وقيصر فـاتحين ، يلبـس القميـص المرقـوع ، ويربـط علـى بطنـه حجريـن مـن الجـوع ، والمـدائن تفتـح بـدعوته ، والخزائن تقسم لأمته .

إن البرية يـوم مبعـث نظر الإلـه لهـا فبـدّل
أحمـــــــــــد حالهـــــــــا
بل كرم الإنسان حين خيـر البريـة نجمهـا
اختـــــار مـــــن وهلالهـــــــــا
لبـس المرقـع وهـو جبت الكنوز فكسّـرت
قبلـ أعلاهـا

ماذا أقول في النبي الرسول ؟ هل أقول للبدر حييت يـا قمر السماء ؟ أم أقول للشمس أهلاً يـا كاشـفة الظلمـاء ، أم أقول للسحاب سلمت يا حامل الماء ؟

يـــا مـــن تضـــوّع
فطـاب مـن طيـب تلـك
نفسـي الفـداء لقـبر
فيه العفـاف وفيـه الجـود

اسلك معه حيثما سلك ، فـإن سـنته سـفينة نـوح مـن ركب فيها نجا ومن تخلف عنها هلك ، نزل برُّ رسـالته فـي غار حراء ، وبيع في المدينة ، وفصل في بدر ، فلبسه كـل مؤمن فيا سعادة من لبس ، ويـا خسـارة مـن خلعـه فقـد تعـس وانتكـس ، إذا لـم يكـن المـاء مـن نهـر رسـالته فلا

تشـرب ، وإذا لـم يكـن الفـرس مسـوَّماً علـى علامتـه فلا تركب ، بلال بن رباح صار باتباعه سيداً بلا نسب ، وماجداً بلا حسب ، وغنيّاً بلا فضة ولا ذهـب ، أبـو لهـب عـلى لما عصاه خسر وتبّ ، سيصلى ناراً ذات لهب .

الفـــرس والـــروم فعنـد ذكـرك أسـمال
واليونـــان إن ذكـــروا علـــــى قـــــزم
هـــم نمقـــوا لوحـــة وأنت لوحـك محفـوظ

وإنك لتهدي إلى صـراط مسـتقيم ، وإنـك لعلـى خلـق عظيم ، وإنك لعلى نهج قويم ، ما ضلّ ، وما زلّ ، ومـا ذلّ ، وما غلّ ، وما ملّ ، وما كلّ ، فمـا ضـلّ لأن اللـه هـاديه، وجبريل يكلمه ويناديه ، وما زلّ لأن العصمة ترعاه ، والله أيده وهداه ، وما ذلّ لأن النصـر حليفـه ، والفـوز رديفـه ، وما غلّ لأنه صاحب أمانة ، وصيانة ، وديانة، وما مـلّ لأنـه أعطي الصبر ، وشرح له الصدر ، وما كلّ لأن له عزيمـة ، وهمة كريمة ، ونفس طاهرة مستقيمة .

كأنك في الكتاب
محرمـة عليـك فلا تحـلُّ

إذا حضر الشتاء فـأنت
وإن حـل المصـيف فـأنت

صلى الله عليه وسلم مـا كـان أشـرح صـدره ، وأرفـع ذكره ، وأعظم قدره ، وأنفذ أمره ، وأعلـى شـرفه ، وأربـح صفقه ، من آمن به وعرفه ، مع سعة الفناء ، وعظم الآناء ، وكرم الآباء ، فهو محمد الممجد ، كريم المحتد ، سخي اليـد ، كأن الألسنة والقلوب ريضت على حبـه ، وأنسـت بقربـه ، فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطـق إلا بحمـده ، ولا تسـبح إلا في بحر مجده .

نـــور العـــرارة نـــوره نشـــر الخزامـــى فـــي
ونســـــــــــيمه اخضـــــرار الآســـــي
وعليه تـاج مجـرة مـن ما صيغ من ذهب ومـا

إن للفطــر الســليمة ، والقلــوب المســتقيمة ، حــب لمنهاجه ، ورغبة عارمة لسلوك فجاجه ، فهو القدوة الإمــام ، الذي يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام .

صلى اللــه عليــه وسـلم علـم اللسـان الـذكر ، والقلـب الشكر ، والجسـد الصـبر ، والنفـس الطهـر ، وعلـم القـادة الإنصاف ، والرعية العفاف ، وحبب للناس عيش الكفــاف ، صبر على الفقر ، لأنه عاش فقيرا ، وصبر على جموع الغنى لأنه ملـك ملكـاً كـبيرا ، بعـث بالرسـالة ، وحكـم بالعدالـة ، وعلم من الجهالة ، وهدى من الضلالة ، إرتقى فـي درجـات الكمال حتى بلغ الوسيلة ، وصعد في سلّم الفضل حتى حاز كل فضيلة .

أتـــــاك رســـــول يريد رسول الله أعظم
المكرمـــات مسلمـــاً متقـــــــــــــــي
فأقـــل بـــــ عـــــ فـــ الـــ البحـــ بـــ عـــ أم

هذا هـو النـور المبـارك يـا مـن أبصـر ، هـذا هـو الحجـة القائمة يامن أدبر ، هذا الذي أنـذر وأعـذر ، وبشـر وحـذر ، وسهل ويسـر ، كـانت الشـهادة صـعبة فسـهّلها مـن أتبـاعه مصعب ، فصار كل بطـل بعـده إلـى حياضـه يرغـب ، ومـن مورده يشرب ، وكان الكذب قبله فـي كـل طريـق ، فأبـاده بالصديق ، من طلابه أبو بكر الصديق ، وكان الظلم قبل أن يبعث متراكمـاً كالسـحاب ، فزحزحـه بالعـدل مـن تلاميـذه عمـر بـن الخطـاب ، وهـو الـذي ربـى عثمـان ذو النـورين ، وصاحب البيعتين ، واليمين والمتصـدق بكـل مـاله مرتيـن ، وهو إمام علي حيـدره ، فكـم مـن كـافر عفـرّه ، وكـم مـن محــارب نحــره ، وكــم مــن لــواء للباطــل كســره ، كــأن المشركين أمامه حمر مستنفرة ، فرت من قسوره .

إذا كان هذا الجيل
وقد حكموا السادات فـــي
فقـــل كيـــف كـــان
مع نوره لا تذكر الشـــمس

كانت الدنيا في بلابـل الفتنـة نائمـة ، فـي خسـارة لا تعرف الربح ، وفـي اللهـو هائمـة ، فـأذّن بلال بـن ربـاح ، بحـــي علـــى الفلاح ، فـــاهتزت القلـــوب ، بتوحيـــد علاّم الغيوب ، فطارت المهج تطلب الشهادة ، وسبحت الأرواح في محراب العبادة ، وشهدت المعمورة لهم بالسيادة .

كل المشارب غير
وكل أرض سوى الزهـراء
لا تنحـــر النفـــس إلا
فالموت فوق بلاط الحب

المقامة
النّبويّة

أرسـله اللـه علـى الظلمـاء كشـمس النهـار ، وعلـى الظمأ كالغيث المدرار ، فهـز بسـيوفه رؤوس المشـركين هزّاً ، لأن في الـرؤوس مسـامير اللات والعـزى ، عظمـت بـدعوته المنـن ، فإرسـاله إلينـا أعظـم منّـة ، وأحيـا اللـه برسالته السنن ، فأعظم طريق للنجاة إتباع تلـك السـنة . تعلم اليهود العلم فعطلوه عن العمل ، ووقعـوا فـي الزيـغ والزلل ، وعمل النصارى بضـلال ، فعملهـم عليهـم وبـال ، وبعث عليه الصلاة والسلام بالعلم المفيد ، والعلم الصالح الرشيد .

أخوكِ عيسـى دعا
وأنت أحييـت أجيـالاً مـن
قحطـــان عـــدنان
بـكّ التشـرف للتـاريخ لا

المقـامَــة الـكـونيـــة

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾

وكتابي الفضاء أقـرؤ سوراً ما قرأتهـا فـي
فيـــــــــــه كتـــــــــــابي
صوراً تدهش العقول يسكب السحر في

سبحان من له في كل شيء آيـة ، ليـس لملكـه نهايـة ، وليس لعظمته غاية ، اقرأ آيات القدرة في صـفحة الكـون ، وطالع معجزة الخلق في الحركة والسكون ، فـي الليـل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس ، فـي السـمك السـارب ، فـي النمـل الـدائب ، فـي هالـة النـور تنشـر رداء السـناء ، فـي الفضاء ، فـي النهـار يتمـاوج ، فـي البحـر هائـج مائـج ، فـي النحل يلثـم الأزهـار ، فـي الليـل يعـانق النهـار ، فـي الـدمع يـترقرق ، فـي الـدماء تتـدفق ، فـي الزهـر يتشـقق ، فـي الـدواب السـائمة ، فـي الوحـوش الهائمـة ، فـي الطيـور الحائمة ، في الحيتان العائمة ، في العود يشتد ، فـي الظـل يمتد ، في الجبال ترتدي عمائم الثلوج ، فـي القمـر يهـرول في البروج ، في الشمس تتبرج سـافرة علـى العـالم ، فـي النبت ما بين نائم وقائم .

فـي الأسـرار تكنزهـا الضـمائر ، فـي الأخبـار تختزنهـا السرائر.

في الصخور كأنها تنتظر خبرًا من السماء فهي صامتة ، في الحجارة يكسـرها الإنسـان بفأسـه وهـي سـاكتة ، فـي الفجر يطلق من عباءته النور ، في الأذهان بالأفكـار تمـور ، في الماء ينهمر من السماء ، ويغوص فـي الرمضـاء ، يُقبِـل بالخضرة والنماء ، ويدلف بالحياة للأحياء، يهيج أحيانا ويهـدر ، ويزحـف ويـدمر ، لا تحـدُّه الحـدود ، ولا تـردُّه السـدود ، وعظمته سبحانه في خلـق الإنسـان ، وتركيبـه فـي أحسـن كيان ، حيث جعل في العينين سراجًا من النـور، وأنشـأ فـي القلب بصيرة تدرك الأمور ، وخلق العقل يقود هذا الكـائن ، ويوجهه وهو ساكن ، في النبتة تشق طريقها إلـى الفضـاء ،

وترفـع رأسـها إلـى السـماء ، فـي العنـدليب يرتجـل علـى الغصـن كـالخطيب ، فـي الحمـام يشـدو بأحسـن الأنغـام ، يشكو الحب والهيام ، والعشق والغرام ، فـي الغـراب يخبـأ رزقه في الخراب ، ويدفن خصمه في الـتراب ، فـي الأسـد يطارد القنيصة ، ويمزق الفريسة . في النحل يئِنّ ، والذباب يطِنّ ، في الزنبور يرِنّ .

والعظمة الكونية

في عالم النبات ، آلاف المذاقات ، ومئات الطعومات ، أخضر يعانق أحمر ، وأصفر يضم أغبر ، فـي الأوراق تميـس في الطل ، في الحشرات تهرب إلى الظِّل .

في الناقة تحِنُّ إلى وليدها ، وتشتاق إلى وحيـدها ، فـي الليل يخلع ثيابه على الآفاق ، في الضباب يخيّم على الأرض كالأطباق ، في النار تحرق ، في الماء يغرق .

في الضياء يسطع ، في الضوء يلمع ، في العيـن تـدمع ، فـي الـبرق يكـاد يـذهب سـناؤه بالأبصـار ، فـي الصـواعق تقصف الصخور والأشجار ، فـي الرعـد يـدوِّي فيملأ العـالم ضجيجا ، في الروض يفوح فيعبق به الجو أريجا .

في أهـل السـلطان بيـن ولايـة وعـزل ، وأسـرٍ وقَتْـل ، وهزيمةٍ ونَصْر ، وسِجْنٍ وقَصْر ، في الموت يخترم النفـوس ، ويسقط على الرؤوس ، ويأخذ الرئيس والمرؤوس ، ويـبز العريـس والعـروس ، ويهـدم الأعمـار ، ويعطِّـل الأفكـار ، ويخلي الديار ، ويدخل كل دار .

فـي صـنف مـن البشـر ، يعيشـون البطـر ، لـه أمـوال كالجبال ، وآمال كأعمار الأجيـال ، قصـور تشـاد ، كأنهـا لـن تباد ، وحدائق غنّاء ، وبساتين فيحاء .

وفي صنف آخر فقير ، في دنياه حقير ، لا يملـك الفتيـل ولا القطمير ، يبحث عـن الرغيـف ، وينـام علـى الرصـيف ، ولقلبه من خوف الفقر رجيف .

في أهـل العافيـة يمرحـون ، وفـي نعيمهـم يسـرحون ، وبما أوتوا يفرحون . وفي أهل البلاء ، وفي أصحاب الضـنك والشقاء ، في ظلمات المحيطات ، وفي متاهـات الغابـات ،

وفي مجاهل الفلوات . أرض تمتـد بلا بشـر ، صـحارٍ قاحلـة ليس فيها شجر ، وعوالم موحشة ما يسكنها بدو ولا حضر .

نجوم تسقط ، وكواكب تهبـط ، ونيـازك تلتهـب ، ترمـي بشـرر ولهـب ، مجـرّات سـميّة ، ومنـازل قمريّـة ، حـدائق بأثواب الحسن تسر الناظرين ، ومشاهد في الكـون جميلـة تأخذ ألباب المبصرين ، رياض أنيقـة تسـرح فيهـا الغـزلان ، باقات من الورود بهيجة يلعب بها الولدان .

كل فـي فلـكٍ يسـبح ، وكـلٌّ فـي عـالم يمـرح ، شـمس تجري كأنها تبحث عن مفقود ، قبل أن تطلع تسجد للمعبـود ، آية بـاهرة ، وحكمـة ظـاهرة ، فـي خلـق الإنسـان ، ذلـك الكيان ، الـذي يحمـل جامعـات مـن السـكنات والحركـات ، فذهن متوقد ، وقلب متجدد ، وخيال يطوي الزمان والمكان ، ويناقـل الإنسـان ، بيـن خـوف وأمـان ، وذاكـرة حافظـة ، وألسنةٌ لافظة ، وشـركات فـي كـل الأعضـاء ، منهـا يجـذب الهواء ، ويسحب المـاء ، ويهضـم الغـذاء ، ويجلـب الـدواءْ ، ويُـذهب الـداء ، مـا بيـن دفـعٍ وضـغط ، وإخـراج وشـفط ، ومؤسّسات تشارك في بناء الجسـم ، وفـي قيـام الرسـم ، ليكون في أحسن تقويم ، وأكمل تنظيـم ، فـي الطيـر وهـو يبحـث عـن طعـامه ، ويعـود إلـى مسـتقرّه ومنـامه ، فـي الكائنات وهي فـي صـراع محمـوم ، وفـي همـوم وغمـوم ، لتحصـل علـى رزقهـا المقسـوم ، وعيشـها المعلـوم ، فـي الإنسان وهو يفكّر ويقدِّر ، ويقدِّم ويؤخِّر ، ويخطّط وينظـر ، في الجبال ، واقفة في هيبة وجلال ، في الروابـي الخضـراء آيـة فـي الجمـال ، فـي العافيـة والأسـقام ، فـي الحقيقـة والأحلام ، في اليقين والأوهام ، في الأقدام والأحِجام ، فـي السحاب والسراب ، والضباب والرضاب.

في الأحياء ، وحُبِّهـا للبقـاء ، ومـدافعتها للأعـداء ، فهـذا بمخلبه يصول ، وهـذا بنـابه يجـول ، وهـذا بمنقـره يناضـل ، وذاك بريشـه يقاتـل ، وآخـر بسُـمِّه يـدفع ، وغيـره بجنـاحه يردع ، منهم من يطير ، ومنهم من يسير ، ومنهم من يسـبح ، ومنهم من يمرح ، ومنهم على رجلين ، ومنهم على يدين ، ومنهم من يطير بجناحين ، هذا يزحف ، وذاك يخطف ، وهذا

في قيْدِه يرسُف ، في التقاء الأحباب والفـراق ، فـي الضـم والعناق ، في الركود والانطلاق .

في النجمة هائمة في صفحة السماء تبسم في حنـادس الليل ، في البدر تفنيه الليالي ويدركه المحـاق كـأنه قتيـل ، في روعة الإشراق ، وقد نشرت الشمس ضـفائرها وانتشرت جدائلها على التلال ، وبثَّت سِحْرها على الجبال .

في الطبيب يشفي من الداء ، فـإذا أدركـه الفنـاء ، يـار فيه الدواء ، وعجز في علاجه الأطبّاء ، فـي المريـض ييـأس مـن العافيـة ، وتحـار فيـه الأدويـة الظـاهرة والخافيـة ، ثـم تدركه من الله عناية شافية ، ورحمة كافيـة ، فـي الـبراكين تثور بالدمار ، في الزلازل تهز الديار ، في السُّم يُصـنع منـه الدواء ، في الماء يكـون سـبباً للفنـاء ، فـي الهـواء يعصـف فيدمر الأشياء ، في الريح تكون رخاءً فتلقح الثمار ، وتسوق الأمطار ، وتزجـي السـفن فـي البحـار ، ثـم تكـون عاصـفة هوجاء ، فتقتل الأحياء ، وتنقل الوباء ، فـي النخـل باسـقات لها طلع نضيد ، في الجبال تثبـت الأرض وقـد كـادت تميـد ، في اللَّبن يخرج من بين فـرثٍ ودم، فـي كـل مخلـوق كيـف وُجِد من العدم ، في الإبل كيف خُلقت ، فـي السـماء كيـف رُفعت ، في الجبال كيف نصبت ، في الأرض كيف سـُطِحت ، فـي الضـحى إذا ارتفـع ، فـي الغيـث إذا همـع ، فـي خلـق الإنسان كيف ينكس ، وفي عمره كيف يعكس ، يعمّر فيعود كالطفل ، فلا يُفرِّق بين فرضٍ ونفل ، في الطائر كيف يجمع القَش ، ويبني العُش ، ويختار عيضه ، ثـم يضـع بيضـه ، فـي العجمـاوات مـا بيـن جـائع وبطيـن ، فـي الـدود تبحـث عـن طعامها في الطين ، في البلبل يحبس في القفص فلا يبيض ، ويعيش بجنـاح مهيـض ، فـي الحيّـة وهـي فـي الصـحراء ، تنصب جسمها كأنه عود للإغراء ، فيقع عليها الهدهد ، يظنها عـود مجـرَّد ، فيكـون طعامهـا ، بعـد أن رأى قيامهـا ، فـي الثمرة تحمى بأشواك ، كأنها أسلاك ، في الأطعمـة مـا بيـن حلو وحـامض ، وقلـوي وقـابض، فـي النـاس ألـف كواحـد ، واحد كجيـش حاشـد ، فـي البشـر مـا بيـن عاقـل حصـيف، وطائش خفيف ، وتقيٍّ متنسِّك ، وفاجر متهتِّك ، في الأرواح

كيــف تتــآلف وتتخــالف ، فــي اختلاف الأصــوات ، وتعــدد اللّهجات ، وتباين النغمات ، وكثرة اللغات ، فـي الحـر يكـاد يذيب الحديد ، في البرد يحول الماء إلى جليـد ، فـي الأرض يعلوها من الغيث بُـرد أخضـر ، ويكسـوها مـن القحـط رداء أغبر ، في المعادن تذوب بالنار ، فتسـيل كأنهـا أنهـار ، فـي السماء تتلبّد بالغيوم ، ولها وجوم ، كأن وجهها وجه مهموم ، أو طلعة مغموم ، في الشمس تكسف ، في القمر يخسـف ، في كل ما ننكر ونعرف ، في كل مولود حين يوضع ، كيـف يهتدي إلى الثدي فيرضع ، إن عاش الحيوان في جو معتـدل كساه بالشعر ، وإن عاش في برد قارص غطاه بالوبر ، وإن عـاش فـي الصـحاري دثـره بالصـوف ، ليقـاوم الحتـوف ، حيوان الغاب يزوده بناب ، ويمنحه مخلاب ، وطير العريـش يقويه بريش ليعيش ، ينبـت فـي الصـحراء شـجرة جـرداء ، تصبر لحرارة الرمضاء ، ووهج البيداء ، ويزرع فـي البسـتان شجرة ذات رواء وأغصان ، ندية الأفنـان ، مختلفـة الطعـوم والألوان ، جعل الصيد في البيد ، ليحمي نفسه مـن التهديـد ، علّم العنكبوت ، كيف تبني البيوت ، وهـدى النملـة لادّخـار القوت ، جعل فوق العينيـن حـاجبين ، ليحميهمـا مـن ضـرر المعتدين ، وجعل أمامها رمشين ، لتكون فـي حـرز أميـن ، وجعل فيهما ماء تغتسلان به كل حين ، يسـلط الريـاح علـى السـحاب ، فيقـع التلاقـح والإنجـاب ، إن شـاء جعـل الهـواء عليلاً ، يحمل نسيماً جميلاً ، وإن شاء جعله ريحـاً عاصـفةً ، مدمرة قاصفة ، سبحان من حكم الكـون بـالقهر ، مـع علـو القدر ، ونفاذ الأمر ، له الملكـوت والجـبروت ، وهـو حـي لا يموت ، أحسن كل شيء خلقه ، وتكفل بكل حي يوم رزقـه ، أوجـد الحـب وفلقـه ، تسـمى بأحسـن الأسـماء، واتصـف بأجمـل الصـفات والآلاء ، عطـاؤه أنفـع عطـاء ، جـلّ عـن الشركاء ، نصـر الأوليـاء ، وكبـت الأعـداء ، عبـادته فـرض ، والصدقة عنده قرض ، وسلطانه عمّ السماء والأرض ، يعلم الغيوب ، ويقدر المكتوب ، ويمحو الذنوب ، ويستر العيوب ، ويهدي القلوب ، وينقـذ المكـروب ، نعمـه لا تعـد ، ونقمـه لا تصد ، وعظمته لا تحد ، وعطاياه لا ترد ، منصـورٌ مـن والاه،

سعيدٌ من دعاه ، موفَّـق مـن رجـاه ، مخـذول مـن عصاه ، مدحور من عاداه .

المقامَة الكونية

من الذي قد استوى لملكـه قـد احتـوى
ومـن هـو العظيـم والمنعـم الكريـم
ومن يجيب الداعي لأشـرف المسـاعي
ومـن بـرى البريـة ووسـع البرّيـة
مـن أنـزل الكتابـا وعلـم الصـوابا
من كسر الأكاسـرة من قصر القياصـرة
مـن علـم الإنسـانا علمـه البيانـا
من أسـدل الظلامـا ونشـر الغمامـا
من أطعـم الخليقـة وأوضـح الطريقـة
الخيـر قـد أسـداه والعبـد قـد هـداه
والشـر قـد أبـاده والحـق قـد أعـاده
وهو عظيم القـدرة فقـدرنَّ قـدره
يفعـل مـا يريـد وبطشـه شـديد
وهـو المسـمى فقل هـو اللـه أحـد
بالصـمد والوصف والأسماء
يعـرف بـالآلاء وغلّـط المكيّفـة
فلا تكيـف فـي كمـذهب السـفيهِ
الصـفة يـا ربنـا علّمنـا
ولا تجـادل فيـهِ ولا تكـن جهـولا
وقـل نعـم سـلّمنا واحـذر أخـي مـن
واتبـع الرسـولا الخلـف
وكـن علـى نهـج والآل والقرابـة
السـلف ولا تطع أهل البدع
واحـترم الصـحابة وسـر لـه حثيثًـا
وكـن تقيّـاً واتبـع حباك ربـي الفهمـا
وعظـم الحـديثا يعرفـه العبيـدُ

واطلب هديت علما والــزور والآثامــا
أولـــه التوحيـــدُ فكـل هاتيـك سـفه
واجتنـــب الكلامـــا فهـم نجـوم الأمـة
ومنطقـاً وفلسـفة أهل العلا والمنفعة
واتبـــع الأئمـــة علـــومه شـــريفة
كالخلفــاء الأربعــة فـــــي العلـــــم
كــذا أبـــو حنيفـــة كالمؤســـــــسِ
ومالــك بــن أنــسِ فــي علمــه مجــودْ
والشـافعي محمّـدْ إمامنـــا المبجـــل
وأحمـد بـن حنبـل بزهـــده مـــزدانُ
وشــيخنا ســفيان قـــد جـــدّ فـــي
والبـارع الأوزاعـي المســـــــــاعيِ
وأحمـــد الحرّانـــي العـــالِم الربـــاني
وبعـــده محمّـــد مـن نجـد جـا يجـدد
وهـــذه وصـــيّة أبياتهـــا محصـــيّة
مـــوجزة لطيفـــة في لفظها خفيفـة
نظمتها على عجـل في ربنـا عـز وجـل
فهو أحـق مـن ذُكِـر وهو أجلّ مـن شـُكِرْ
أســـأله التوفيقـــا والفهم والتحقيقـا
وأشـــرف الصـــلاةِ لصـــاحب الآيـــاتِ
المصطفى وصحبهِ آنســـــنا بحبـــــه

المقامة الحديثيّة

المقـامَـــة الـحـديـثيّـــة

 وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى

مــن زار بابــك لــم تــروي أحــاديث مــا
تــــبرح جـــوارحه أوليـــت مـــن منـــن
فــالعين عــن قــرة والقلــب عــن حــابر

جاءني عطاء الله السمرقندي ، فبات عندي ، وكان أحد المحدثين ، ويكره المُحْدِثين في الدين ، فقلنا : أيها الإمام ، عليك السلام : الوقت حـثيث ، فحـدثنا عـن علـم الحـديث ، فتأوّه ثـم قـال : مـات حفـاظه ، فكـادت تنسـى ألفـاظهُ ، ، وأهل الحديث هـم الركـب الأخيـار ، أحبـاب المختـار ، قـوم تصدقوا بالأعمار على الآثار ، وقضـوا الحيـاة فـي الأسـفار ، لجمع كلام صفوة الأبرار :

في كـل يـوم لنـا فـي
نغدو بـدار ونمسـي بعـد

شدّوا العمائم ، وجدّوا فـي العزائـم ، وتسـلحوا بالصـبر الدائم ، فلو رأيتهم وقـد فتحـوا الـدفاتر ، وقربـوا المحـابر ، وكتبوا : حدثنا مسدّد بن مسرهد ، أو رواه أحمد في المسند ، أو أخرجه البخاري ، وشرحه في فتح الباري ، لهانت عندك الدنيا بما فيها ، وركبت سفينة الحـديث ونـاديت باسـم اللـه مجراهـا . ولأقبلـت علـى العلـم والكتـب ، وهجـرت اللهـو واللعب ، واللغو والطرب .

يفوح من فم المحدث المسك التِّبتي ، لأن عليه سـيماء (نضَّر الله ، امـرأً سـمع منـي مقـالتي) أنفـاس المحـدثين تنضح بالطيب ، لأنها حملت اسم الحبيب :

يكــون أجاجــاً دونكــم
إليكــم تلقــى طريقتكــم

الطريقة الحديثية

بنفسي ذاك المحـدث إذا جلـس علـى الكرسـي ، وقـد حف به الطلاب ، ونشر الكتاب ثم قـال : حـدثنا محمـد بـن شـهاب ، عنـدها يرتحـل قلبـك ، ويكـاد يطيـر لبـك ، شـوقاً لصـاحب التركـة ، لمـا جعـل اللـه فـي كلامـه مـن البركـة . فتصبح الدنيا رخيصـة مرفوضـة ، لا تسـاوي جنـاح بعوضـة ، وتشتاق النفوس إلى الجنة ، لما غشيتها أنوار السنة .

إنــي إذا احتوشــتني يكتبن حدثني طــوراً
ألـــــف محـــــبرةٍ وأخـــــــــــبرني
نـــادت بحضـــرتى تلـــك المكـــارم لا

أمـا أخبـار المحـدثين فـي الأسـفار ، وقطـع القفـار ، وامتطاء البحار ، وركوب الأخطار ، فقد حفلت به الأسـفار . ولكنهم في سفرهم يقرؤون كتاب الكون ، فـي كـل حركـة وسكون ، فإن المحدث يجد المتعـة فـي ارتحـاله ، والبهجـة في انتقاله ، من ناد إلى ناد ، ومن جبل إلى واد ، فهـو يعـب من المناهل ، ويسرح طرفه فـي المنـازل ، ويطلـق بصـره إلى دسـاكر الأقطـار وغياضـها ، وحـدائق الـديار ورياضـها ، فيلمح عجائب البلدان ، ويتصفح غرائـب الأوطـان ، ويـأنس بنغم الطيور في كل بسـتان ، فهـو فـي تنقـل بيـن حيطـان وغيطان ، ووديان وأفنان وألوان ، تمر به الصور والمشـاهد ، ويبيت في المساجد ، ويعب الماء النمير ، من كـل غـدير ، له في كل بلدة أصحاب ، وله في كل قرية أحباب .

يفترش الغبراء ، ويلتحف السماء ، سلم في سفره مـن أذى الجيران ، وضوضـاء الصـبيان ، والثقيـل مـن الإخـوان ، ينام على الثرا ، في العرا ، خـارج القـرى ، مركـوبه رجلاه ، وخادمه يداه ، البسمة لا تغادر محياه :

ومشتت العزمــات لا ســكن ولا أهــل ولا
يـــــأوي إلـــــى جيـــــــــــــرانِ
أَلِفَ النوى حتى كأن للـبين رحلتــه إلــى

قيل للفلاسفة : من سـندكم ؟ قـالوا : ابـن سـينا عـن سرجيس بن ماهان ، عن أرسطاليس من اليونان .

وقيل لعلماء الكلام : مـن سـندكم ؟ قـالوا : محمد بن الجهم من خراسان ، عن الجهم بن صفوان .

المقامات الحدثيّة

وقيل للمحـدثين : مـن سـندكم ؟ قـالوا : طـاووس بـن كيسان ، عن ابن عباس ترجمان القرآن ، عن الرسول سيد ولد عـدنان ، عـن الرحمـن ، كـان المحـدِّث إذا ودّع أولاده ، وتـرك بلاده ، وحمـل زاده ، يجـد مـن راحـة البـال ، وطيـب

الحال ، ما يفوق فرحـة أصـحاب الأمـوال ، ومـا يربـو علـى سرور من ملك الرجال .

إذا جمع بعضهم كلام الفلاسـفة ، أهـل الزيـغ والسـفه ، الذي يورث الجدال والمعاسفه ، جمع المحدثون كلام الـذي ما ضل وما غوى ، وما ينطـق عـن الهـوى ، إن هـو إلا وحـي يوحى .

وإذا تفــاخر أحــدهم بجمــع كلام علمــاء الكلام ، أهــل الشقاق والخصام ، والفرقة والخصـام . تفـاخر المحـدثون بحديث خير الأنام ، أزكـى مـن صـلى وصـام ، وحـج بـالبيت الحرام . قال الشافعي : إذا رأيت محدثا فكأني رأيـت أحـد أصحاب محمد ، قلت : لأن نهجهم مسدد ، وعلمهم من الله مؤيد .

وقد أطال ثنائي طول

إن الثنــاء علــى التنبــال

أنا لا أريد سَنَدي من إيوان كسرى أنو شـروان ، ولا مـن الرومـان ، ولا مـن اليونـان، أريـد سـندي عـن سـفيان ، أو سليمان بن مهران ، أو سلمان عن رسول الإنس والجان .

تعلمني كلام الناس بلا دليل ، ولا تأصيل ، وتقول هذا كلام جميل ، وعندي التنـزيل ؟

قيل للحمار ، لماذا لا تجتر ؟ قال : أكره الكذب .

وقيل للجمل لماذا لا ترقص ؟ قال : لا أعرف الطرب .

وتعلمني الفلسفة والمنطق ، وأنا ما عندي وقت للعـب .

أريـد أن أسـمع فـي المجلـس ، حـدثنا سـبعين مـرة ، لتكتمل المسرّة .

أهــل الحــديث همــوا

لــم يصــحبوا نفســه

الحـديث النبـوي كلام ، لـم يخمـر فـي عقـول فلاسـفة اليونان ، ولم يتعفن في أدمغـة فلان وفلان ، ولـم يـأت مـن

أهواء أهل الطغيـان . وإنمـا قـاله مـن أتـى بـالقرآن ، تقـرأ استنباط أهل الفهوم ، وتطالع كتب أرباب العلوم ، ثـم تتلـو حديث المعصوم ، فـإذا مـاء الـوحي يترقــرق فـي جنبـاته ، ورحيق العصمة يتدفق في قسماته ، فكان كـل علـم قرأتـه قبله نسي وانتهى ، لأنه لا يقاوم كلاماً أتى مـن عنـد سـدرة المنتهى .

السـموات شـيقات والفضــا والنجــوم
ظمـــــــــــاء والأنـــــــــــواء
لكلام مـن الرسـول تتلاشـى مـن نـوره

ما أحسن الضم والعنـاق ، لجملـة حـدثنا عبـد الـرزاق ، كلما قلت أخبرنا علي بن المديني ، حفظت دينـي ، سـهمي لكل مبتدع يسدد ، إذا قلت حدثنا مسدد بن مسرهد .

أشرقت أمامي المسـالك ، كلمـا قـرأت موطـأ مالـك ، سقيم الإرادة العلميـة لـه علاج ، عنـد مسـلم بـن الحجـاج ، أدْمغُ كل منحرف بذي ، بسـنن الترمـذي ، أنـا فـي صـباحي ومسائي ، أدعو للنسائي .

هاجر المحدثون إلى اللـه لطلـب كلام رسـوله الأميـن ، فوجدوا في أول الطريق ثواب نية الصادقين ، ووجـدوا فـي وسطه نضرة البهاء التي دعا بها سـيد المرسـلين ، ووجـدوا فـي آخـر الطريـق جنـة عرضـها السـموات والأرض أعـدت للمتقين .

كـل صـاحب فـن ، ينسـب إلـى صـاحب ذاك الفـن ، إلا المحدثون فإنهم ينسبون ، إلى من أتى بالسنن ، وأهدى لنـا المتن ، وتنعمت بعلومه الفطن .

ما أروع الهمـم الكبـار
معروفة بالبر والإحسانِ
يتصــيدون كلام أكــرم
ينفـــون عنـــه ســـبيكة

سافر أحمد بن حنبـل مـن بغـداد إلـى صـنعاء ، يمتطـي الرمضاء ، ويركب الظلماء ، يترك الأهل ، يدفعه الجبل إلـى

السـهل ، تشـيعه الـدموع ، يرافقـه الجـوع . لأن الرجـل مشتاق، وأحـد العشـاق ، لـذاك التريـاق ، مـن قـوارير عبـد الرزاق .

دخل مكحول القرى والبوادي ، وطـاف علـى النـوادي ، وعبر كل وادي ، يطلب حديث النبي الهادي ، فصـار ريحانـة الشام ، وشيخ الإسلام .

ومشى أبو حـاتم ، ألـف فرسـخ علـى الأقـدام ، لطلـب حديث سيد الأنـام ، فأصبح بذلك أحد الأعلام .

تهـون خطانـا للمحـب

إليكم فـؤادي كـان أبـرد

المحدثون هم عسكر الرسالة ، وجنود البسالة ، ظهروا على البدع بكتائب حدثنا ، وسحقوا الملاحدة بجيوش أخبرنا .

لـولا كتابـة الحـديث فـي الـدفاتر ، وحمـل المحـدّثين للمحابر ، لخطب الدجَّال على المنابر

الله كم من أنف لمبتدع أرغـم بصـحيح البخـاري ، وكـم من صدر لمخالف ضاق بفتح الباري .

الحديث كسفينة نوح فيها من كل زوجين اثنيـن : روايـة ودراية ، بداية ونهايـة ، متـون وأسـانيد ، صـحاح ومسـانيد ، تراجم ومعاجم .

من ركب هذه السفينة نجا مـن غـرق الضـلالة ، وسـلم من بحر الجهالة ، ووصل شاطئ الرسالة .

انطلقت هذه السفينة من المدينة ، ربانها المصـطفى ، والركـاب الصـحابة الأوفيـاء ، نحـن علـى مائـدة المحـدثين أضياف ، فلعلنا نعـد منهـم ، لأن المضـاف إليـه يأخـذ حكـم المضاف ، لكل طائفة رئيس ، والمحدِّثون محمد [illegible] .

المقامَة
الحدشّة

المقـامَــة الـعـلـميّـــة

((العلمـاء ورثـة الأنبيــاء))

جعلت المـال فـوق لعمرك في القضية
العلـــــــم جهلاً مـــــا عـــــدلتا
وبينهمـــا بنـــص ســـتعمله اذا طـــه

العلم أشرف مطلوب ، وأجل موهوب ، والعلمـاء ورثـة الأنبياء ، وسادة الأولياء ، والشهداء على الألوهية ، والــدعاة إلى الربوبية ، تستغفر لهم حيتان المـاء ، وطيـور السـماء ، وتدعو لهم النملة ، وتستغفر لهم النحلـة ، وَلاَ يتهـم لا تقبـل العـزل ، وأحكـامهم ليـس فيهـا هـزل ، مجالسـهم عبـادة ، وكلامهـم إفـادة ، يوقعـون عـن رب العـالمين ، ويفضـلون الناس أجمعين ، وكما يُهتدى بالنجوم في ظلم البر والبحر ، فهـم منـائر الأرض يهتـدى بهـم فـي كـل أمـر ، العلـم فـي صدورهم ، والله يهدي بنورهم ، وينـزّل عليهم الرضوان في قبـورهم ، هـم حملـة الوثيقـة ، والشـهداء علـى الخليقـة ، كلامهم محفوظ منقول ، وحكمهم ماضٍ مقبول ، بهم تصلح الديار ، وتعمر الأمصار ، ويكبت الأشرار ، وهـم عـز الـدين ، وتـاج الموحـدين ، وصـفوة العابـدين ، هـم أنصـار الملـة ، وأطباء العلة ، يذودون عن حياض الشريعة ، ويزجرون عــن الأمور الفظيعة ، وينهون عن المعاصي الشنيعة ، هم خلفـاء الرسول ، ثقات عدول ، ينفون عن الدين تأويل المبطليـن ، وتحريف الجاهلين ، وأقوال الكاذبين ، مذاكرتهم من أعظـم النوافـل ، ومرافقتهـم مـن أحسـن الفضـائل ، وهـم زينـة المحافل ، بهم تقام الجماعات والجمع ، وبهم تقمع البــدع ، هـم الكـواكب فـي ليـل الجهـل ، وهـم الغيـث يعـم الجبـل والسهل ، عالِمٌ واحد ، أشد على الشيطان من ألـف عابـد ، لأن العالِم يُدرك الحيل ، ولا تختلـط عليـه السـبل ، يكشـف الله به تلبيس إبليس ، ويدفع الله بهم كـل دجّـال خسـيس ، أحياء بعد موتهم ، موجودون بعد فوتهم ، علمهم معهـم فـي البيوت والأسواق ، ويزيد بكثرة الإنفـاق ، أقلامهـم قاضـية ، علـى السـيوف الماضـية ، بصـائرهم تنقـب فـي منـاجم

النصـوص ، وعقـولهم تركـب الـدر فـي الفصـوص ، النـاس يتقاسمون الدرهم والـدينار ، وهـم يتوزعـون ميـراث النبي المختار ، لـو صـلّى العابـد سـبعين ركعـة ، مـا عـادلت مـن العالم دمعة ، فهم أهل العقول الصحيحة ، وأرباب النصـيحة .

المقامَة العلمية

أما العلم شـرف الـدهر ، ومجـد العصـر ، ذهـب الملـك بحراسه ، وبقيت بركة العالم في أنفاسه ، فنِيَ السلاطين ، ووُسِّدوا الطين ، وخلد ذكر أهـل العلـم أبـدا، وبقـي ثنـاؤهم سرمدا ، العلم أعلى من المـال ، وأهيـب مـن الرجـال ، بـه عُبِدَ الديّان ، وقام الميزان ، وبه نزل جبريل ، علـى صـاحب الغرة والتحجيـل،وبـه عرفـت شـرائع الإسـلام ، ومُيِّز بيـن الحلال والحـرام ، وبـه وُصـلت الأرحـام ، وحُـلَّ كـلُّ نـزاع وخصام ، وبالعلم قام صرح الإيمان ، وارتفع حصن الإحسان ، وبيّنت العبـادات ، وشـرحت المعـاملات ، وهـو الـذي جـاء بالزواجر ، عن الصغائر والكبائر ، وفَقِه الناس بـه الفرائـض والنوافل ، والآداب والفضائل ، ونصبت بـه معـالم السُّنن ، وكُشف به وجه الفتن ، ودُلَّ به على الجنة ، ودعـي بـه إلـى السنة ، وهو الـذي سـحق الوثنيـة ، وهـدم كيـان الجاهليـة ، ونهى عن سبيل النار ، وموجبـات العـار ، ووسـائل الـدمار ، وبه حورب الكفرة ، وطورد الفجرة ، وهو مـن العلـل دواء ، والشكوك شفاء ، ينسـف الشـبهات ، ويحجـب الشـهوات ، ويصلح القلوب ، ويرضي علاّم الغيوب ، وهو شرف الزمـان ، وختم الأمـان ، وهـو حـارس علـى الجـوارح ، وبوَّابـة إلـى المصالح ، وصاحبه مهاب عند الملوك ، ولـو كـان صـعلوك ، وحامله ممجّد مسـوّد ، ولـو كـان عبـداً أسـود ، يجلـس بـه صاحبه علـى الكـواكب، وتمشـي معـه المـواكب ، وتخـدمه السادة ، وتهابه القادة ، وتكتـب أقـواله ، وتقتفـى أعمـاله ، وتحترمه الخاصة والعامة ، ويدعى للأمـور العامّـة ، مرفـوع الهامة ، ظاهر الفخامة ، عظيم فـي الصـدور ، غنـي بلا دور ولا قصور ، الله بُغيته ، والزهد حليته ، مسامرته للعلم قيـام ، وصمته عن الخنـا صـيام ، رؤيتـه تُـذكّر بـالله ، لا يعجبـه إلا الذكر وما والاه ، عرف الحقيقة ، وسلك الطريقة ، به تقـام

الحجــة ، وتعــرف المحجــة، وهــو بطــل المنــابر، وأســتاذ المحابر، والمحفوظ اسمه في الدفاتر .

والعلم وسام لا يخلع ، وهو من الملك أرفع ، وهو إكليل على الهامة ، ونجاة يوم القيامة ، ينقذ صاحبه مــن ظلمــات الشك والريبــة ، ويخلصــه مــن كــل مصــيبة، وهــو علاج مــن الوسواس ، وفي الغربة رضا وإينــاس ، وهــو نعــم الجليس والأنيس ، وهو المطلب النفيس .

المكتبة العلميّة العلمّة

يغنيك عن المسومة من الخيل ، والباسقات من النخيل ، ويكفيك عن القناطير المقنطرة ، والدواوين المعطّرة .

وحسبك كفايــة عــن كــل بنــاء ، وعــن الحــدائق الغنــاء ، والبساتين الفيحاء ، وهو الحكمة التي من أوتيها فقــد أوتــي خيراً كثيراً ، والمُلْك الذي من أعطيه فقد أعطي ملكاً كبيرا ، وصاحب العلم غنــيٌّ بلا تجــارة ، أميــر بلا إمــارة ، قــويٌّ بلا جنود ، والناس بالخير له شهود .

مــات القــادات والســادات ، وذكرهــم معهــم مــات ، إلا العلماء فــذكرهم دائــم ، ومجــدهم قــائم ، فألســنة الخلــق ، أقلام الحق ، تكتب وتخط لهم الثناء ، وأفئدة الناس صــحف تحفظ لهم الحب والوفاء ، كان أبو حنيفــة مــولىً يــبيع بــزّا ، ولكنه بعلمه هز الدنيا هزّا ، وكان عطاء بن أبي رباح ، خادم لامرأة في البطاح، فنال بعلمه الإمامــة ، وأصــبح فــي الأمــة علامــة ، وابــن المبــارك عبــد اللــه، المــولى الإمــام الأوّاه ، والأعمش ومكحول ، كانوا من الموالي ولكنهم أئمة فحــول ، فالعلم يرفع صاحبه بلا نسب ، ويشرفه بلا حسب .

وإنما يحصل العلم بخدمته كــلَّ حيــن ، وطلبــه ليُعبــد بــه رب العالمين ، وطيُّ الليــل والنهــار فــي تحصــيله ، والســهر على تفصيله ، ومذاكرته كل يوم ، والاستغناء به عن حــديث القــوم ، ومطالعــة مصــنفاته ، ومدارســة مؤلفــاته ، وتقييــد أوابده ، وحفظ شوارده ، وتكرار متونه ، ومعرفة عيونه .

فمن طلبه بصدق ، وحرص عليه بحق ، فهو مهاجر إلــى اللــه ورســوله ، تفتــح لــه أبــواب الجنــة عنــد وصــوله ، وهــو مرابط في ثغور المرابطين ، وجواد في صفوف المعطين ،

ومداده في الأوراق ، كدماء الشهداء المهراق ، لأنـه مقاتـل بسيف النصوص ، قطّاع طريق الملة واللصوص ، وقد يقمع الله به الأشرار، ما لا يقوم به جيش جرار ، فإن اللـه يجـري حجّته على لسانه ، ويُسيِّر موعظته في بيـانه ، فينــزع اللـه بكلامه حظَّ الشـيطان مـن النفـوس ، ويجتـث بـه خطـرات الزيـغ مـن الـرؤوس ، ويغسـل اللـه بمعيـن علمـه أوسـاخ القلوب .

وينفض بنصائحه أدران الذنوب ، فكلما بنى إبليـس فـي الأرواح ضلالة جاء العالم فأزهقها ، وكلما نسج في الأنفس خيمة للباطل قام العالم فمزّقها .

المقامة العلمّية

صاحب المال مغموم مهموم ، خـادم وليـس بمخـدوم ، حارس على ماله ، بخيل على عياله ، وصاحب العلـم سـعيد مسـرور ، يعمـره الحبـور ، ويملأ فـؤاده النـور ، تعلـم مـن السؤدد غايته ، ومن الشرف نهايته تجـبى إليـه ثمـرات كـل شيء من لطائف المعارف ، وتهوي إليه أفئدة الحكمة وهـو واقف ، يأتيه طلبة العلم من كل فـج عميـق ، كأنمـا يؤمـون البيت العتيق ، في قلبه نصوص الشريعة ، ينـزل عليهـا مـاء الفقه فتهتزّ وتربو ، وتنبت من كل زوج بهيج ، فـترى العـالم يجول فكره في الملأ الأعلى والناس في أمر مريج ، فقلـب العالم له جـولان فـي فضـاء التوحيـد ، وقلـب الجاهـل فـي غابات الجهل بليد ، أشرقت في قلـب العـالم مشـكاة فيهـا مصباح ، وتنفس في نفسه نور الصباح ، أنـزل مـن السـماء ماءً فسالت أودية بقـدرها ، فاخضـرت روضـة العـالم علـى أثرها.

صيد الكلب المعلّم حلال ، وصيد الكلـب الجاهـل حـرام ووبال ، وما ذاك إلا لشرف العلم حتى في البهائم ، ومكانــة المعرفة حتى في السوائم .

والهدهد حمل علماً إلى سـليمان ، فسـطّر اللـه اسـمه في القرآن ،فهو بالحجة دمغ بلقيـس، وأنكـر عليهـم عبـادة إبليس ، وحمل من سليمان رسالة ، وأظهر بالعلم شــجاعة وبسالة . فعليك بالعلم ، والفهم فيه الفهـم ، وتصـدَّق عليـه بنوم الجفون ، وأنفِق عليه دمع العيـون ، واكتبـه فـي ألـواح

قلبك ، واستعِن على طلبه بتوفيق ربك ، وأتعِب فـي طلبـه أقدامك ، وأشغل بتحصيله أيامـك ، وإذا سـهر النـاس علـى الأغاني ، فاسهر على المثاني ، وإذا وقع القوم في الملذات ، وأدمنوا الشهوات ، فاعكف على الآيات البينـات ، والحكـم البالغات ، وإذا احتسى العصـاة الصـهباء فـاكرع مـن معيـن الشـريعة الغـراء ، وإذا سـمعت اللاهيـن يسـمرون ، وعلـى غيهم يسهرون ، فصاحب الكتـاب ، فـإنه أوفـى الأصـحاب ، وأصدق الأحباب ، وإذا رأيت الفلاّح يغرس الأشجار ، ويفجّـر الأنهار ، فاغرس شـجر العلـم فـي النفـوس ، وفجّـر ينـابيع الحكمة في الرؤوس ، وإذا أبصرت التجار يصـرفون الفضـة والـذهب ، فاصـرف الحجـة كالشـهب ، وأطلـق الموعظـة كاللهب .

يكفيك أن العلم يَدَّعيه غير أهله ، وأن الجهل ينتفي منـه الجاهل وهو في جهلـه ، يرفـع العـالم الصـادق بعلمـه علـى الشهيد ، لأنه يقتل به كل يوم شيطان مريد ، العالم سـيوفه أقلامه ، وصـحفه أعلامـه ، ومنـبره ظهـر حصـانِه ، وحلقتـه حلبة ميـدانه ، العـالم يفـرّ مـن الـدنيا وهـي تلحقـه ويـأبى المناصب وهي ترمقه ، والعلم هو العضْب المهند ليس يثبـو ، وهو الجواد المضمّر الـذي لا يكبـو ، ولكـن المقصـود بهـذا العلم علم الكتاب والسنة ، الذي يدلك على طريـق الجنـة ، وهو ما قادك إلى الاتباع ، ونهاك عن الابتداع ، فـإن كسـرك وهصـرك ونصـرك ، فهـو علـم نـافع فـإن أعجبـك وأطربـك وأغضـبك فهـو علـم ضـار ، مـا كسـرك عـن الـدنيا الدنيـة ، والمراكب الوطيّة ، والشهوات الشهية ، وهصرك عن العلـو في الأرض ، ونسيان يـوم العـرض ، ونصـرك علـى النفـس الأمارة ، والأماني الغدارة ، فهذا هو العلم المفيد ، والعطاء الفريد .

وإن أعجبـك فتكـبرت ، وأطربـك فتجبّـرت ، وأغضـبك فتهوّرت فاعلم أنه علم ضار، وبنـاء منهـار ، علـم لا يلزمـك تكـبيرة الإحـرام مـع الإمـام ، فهـو جهـل وأوهـام ، وعلـم لا يدعوك إلى الصدق في الأقوال ، والإصلاح في الأعمال ،

والاستقامة في الأحوال ، فهو وبـال ، العلـم ليـس مناصـب ومواكب ومراكب ومراتب ومكاسب .

بل العلم إيمان وإيقان وإحسان وعرفان وإذعان وإتقان ، فهـو إيمـان بمـا جـاء بـه الرسـول ، وإيقـان بـالمنقول والمعقول ، وإحسان يجوَّد به العمل ، ويحذَر به من الزلـل ، وعرفان يحمل على الشكر ، ويدعو لدوام الـذكر ، وإذعـان يحمل على العمل بالمـأمور ، واجتنـاب المحـذور ، والرضـا بالمقدور ، وإتقان تصلح به العبادة ، وتطلب به الزيادة .

المقـامَــة السـلفـيّــة

﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ ﴾

هــم القــوم إن قــالوا
أجَـــابوا وإن أعطـــوا
ولا يستطيع الفاعلون
ولـــو جـــاولوا فـــي

قال الراوي : نراك صاحب تحف ، فحدثنا عن مذهب السلف ، ليقتدي به الخلف فملأه السرور ، وحضره الحبور ، وغشيه النور ، ثم أنشد :

وداعٍ دعـــا إذ نحـــن
فهيّــج أشـواق الفــؤاد
دعـــا باســمِ ليـــلى
أطار بليلى طـائراً كـان

ثــم قــال ذكرتمونــا خيــر القــرون ، ونــون العيــون ، فحديثهم ذو شجون .

فهم أهل الاتّبـاع لا الابتـداع ، وأهـل الروايـة والسـماع ، والألفة والاجتماع ، نزل الوحي بناديهم ، وسارت السنة من واديهم ، شهدوا التنـزيل ، وعرفوا التأويل ، قــولهم سـديد ، وفعلهم رشيد ، ومنهجهم حميد ، ومذهبهم فريد ، اعتصــموا بالـدليل ، وتركـوا القـال والقيـل ، فهـم صـفوة كـل جيـل ، وخلاصة كل قبيل :

هم النجــوم مسـائلها
عليــك عنــد الســرى يــا
اتبع طريقتهم اعـرف
اقـرأ وثيقتــهم بالحــبِ

السلف أهدى الناس سبيلا ، وأصـدقهم قيلا ، وأرجحهـم تعديلا .

هم أعلام يُهتدى بهـم فـي بيـداء الضـلالة ، وهـم أقمـار يستضـاء بهـا فـي ليـل الجهالـة ، هـم المـوازين الصـادقة للمذاهب ، وهم المعين العذب لكل شـارب ، وهـم الرعيـل المختار المقتدي به كل طالب . تركوا التشدّق ، والتفيهـق ، والتشقق ، والتحذلق ، والتمزق .

وهجروا التعسف والتكلـف ، لهـم منـا الحـب الصـادق ، والعهـد الواثـق ، والإجلال والتقـدير ، والإكـرام والتـوقير ، والنصرة والتعزير ، شرف الله تلك الأقدار ، وأنزلهم منـازل الأبرار ، وأسكنهم أجل دار ، وأحسن قرار ، لو كتبت دموعنا علـى خـدودنا لمـا كتبـت إلا حبَهـم ، لـو تمنـت قلوبنـا غايـة الأماني ما تمنّت إلا قربَهم .

أمـــا والـــذي شـــق
المحبـــة المحبـــة فيهـــا
وحملهـــــا قلـــــب
ليضـــعف عـــن حمـــل
لأنتـــم علـــى قـــرب
أحبتنـــا إن غبتمـــوا أو
سِـلوا نسـمات الريـح
مِحبة صبٍّ شوقـه ليـس

السلف خير منا ، ارتفع قدرهم عنـا ، سـبقوا بالإيمـان ، وحب الديان ، والعمل بالقرآن ، ونيل درجة الإحسـان ، هـم أهل الهجـرة والجهـاد ، والصـبر والجلاد ، عنـدهم خيـر زاد ، ليوم المعاد ، وهم صفوة العباد . السلف ليسوا معطلة ، ولا معتزلة ، ولا مؤوِّلة ، ولا مجهّلة ، ولا مخيّلة .

لأن **المعطلة** عطلوا الباري مما دلـت عليـه الأحـاديث والآيات ، **والمعتزلة** نفـوا الصـفات **والمؤولة** أوّلـوا مـا أتت به النصوص الواضحات ، **والمجهلة** قـالوا إن الرسـل

ليـس عنـدهم إلا تخيلات ، فضـلّ الجميـع فـي العقليـات ، وجهلوا النقليّات ، فهدى اللـه أهـل السـنة لأحسـن الأقـوال في الظنيات واليقينيات ، والصفات ، والذات .

والسلف ليسوا خوارج أقوالهم كفرية ، وليسوا جبرية ، ولا قدرية ، ولا أشعرية .

لأن **الخوارج** كفّروا بـالكبيرة ، وأخرجـوا المسـلم مـن الدين بالجريرة ، وحملوا السيف على أئمة الحيف ، وخلدوا الفاسق في النار ، مع الكفار ، **والجبرية** قـالوا : إن العبـاد جبروا على الذنوب ، وقهروا على معصية علام الغيوب .

والقدرية قالوا لم يسبق القدر علم ولا كتاب ، والأمـر مستأنف خطأه والصواب .

والأشعرية أثبتوا الأسماء وسبعاً من الصفات ، وأوّلوا الباقيات ، ولهم مقالات زائفات ، **والسلف** قابلوا النصوص بالإذعـان والتسـليم ، والتـوقير والتكريـم ، فأمرُّوهـا علـى ظاهرها كما جاءت من غير تمثيل ، وقبلوها من غير تعطيـل ، وعرفوها مـن غيـر تكييـف وفهموهـا مـن غيـر تشـبيه ولا تزييف .

وأنا إلى السلف انتسب ، لأنني رضعت منهجهم ويحـرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، والمبتدعة ليسـوا منـا ولا إلينا ، لأن البقر تشابه علينا .

إذا أتاني كتاب مختوم ، عليـه توقيـع المعصـوم ، لثمتُـه بدموعي وأنفاسي ، ووضـعته علـى راسـي ، وقلـت سـمعاً وطاعة ، لصاحب الحوض والشفاعة .

وإذا جاءني كتاب بالباطل منمرق ، وبالبدعـة مزمـرق ، وبالبهتان ممخرق ، مزقته كل ممزق . واعظ اللـه فـي كـل سريرة ، فإذا ألقيت قميص يوسف على يعقـوب البصـيرة . عاد القلب بنور الوحي بصيرا ، وارتد طرف الباطل حسـيرا ، وانفل حد الزور كسيرا . سلام على السلف ، من الخلف ، ما غرد حمام وهتف ، وما حَنّ حبيب لحـبيب وعطـف ، ومـا رقص قلب صب ورجف ، وما همع دمع ونزف .

جمرك البضاعة بختم محمـد ، واكتـب علـى البطاقـة لا يسـتبدل ولا يجـدد ، واقـرأ علـى الكيـس خـرج مـن مدينـة الرسول ، وحامل الكيس هو المسئول ، واحذر من الـتزوير ، فإن موزع البريد بصـير، وقـارئ الرسـائل خـبير، إذا طلـع فجر البشرى من المدينة أذّنّا ، وإذا رأينا الركـب مـن طيبـة أعلنّا ، وإذا سمعنا الهتاف المحمدي أمنّا ، وكلنا حـول رايتـه دندنّا .

خبز كانون الرسالة أبيض ، لا يأكله كل معرض ، الدقيق بالصدق مطحون ، فلا يأكله المبطون ، مالك ؟ لا تهتدي في المسالك ؟ وتقع في المهالك ، نناديك إلى أحمد بـن حنبـل ، فتـذهب إلـى أحمـد بـن أبـي دُؤاد المغفـل ، ونقـول لسـلفـق إبراهيم بن أدهم ، فترافق الجعد بن درهم ، تهجـر الصـادق السـلفي يحيـى بـن معيـن ، وتصـاحب ابـن سـينا ، وابن سبعين ، ويعجبـك كلام ابـن الراونـدي اللعيـن ، عليـك بمجلس مالك وسفيان ، واهـرب مـن الجهـم بـن صـفوان ، عندنا حماد بن زيـد ، وعنـدهم عمـرو بـن عبيـد ، احـذر مـن الكشاف ، فإنه ليس بكاف شاف ، وأحذرك الفصوص ، فإن بين أسطره اللصوص ، السلف أبرياء من الاختلاف واللّجاج ، وظلم الحجّاج ، وخرافات الحلاّج .

السلف أطهر مـن مـاء الغمـام ، وأزكـى مـن المسـك والخزام ، حسبهم تزكية الملك العلاّم ، جمعنا الله بهـم فـي دار السلام ، هجروا العلوم المنطقية ، والقضايا السفسطية ، والعقائد القرمطية ، ولزموا الطريقة الوسطيّة .

السـلف صـادقون لا يكـذبون ، عـدول لا يظلمـون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلـب ينقلبـون ، ولهـذا أمـر أبـو بكـر الصـديق بقتـل مسـيلمة الكـذاب ، فمُـزق بالحِـراب : عندنا خالدان : سيف الله خالد بن الوليـد ، وخالـد القسـري ذو البطش الشديد ، فخالد ذبح مسيلمة في اليمامة ، وخالد نحر الجعد بن درهم وهو في محراب الإمامة .

لدينا أحمدان ، ولـديهم أحمـدان ، صـادقان ، وكاذبـان ، عندنا أحمد بن حنبل ، إمام السنة المبجل ، وعلامة الحديث

المفضل ، وأحمد بن تيميّة ، مجدد الأمة الإسلامية ، صـاحب التدمرية والحمويّة .

وعندهم أحمد بـن أبـي دُؤاد ، صـاحب البدعـة والعنـاد ، والخلاف والفساد ، وأحمد غلام مرزا قاديان ، حامـل الـزور والبهتان ، والدجل والطغيان .

عندنا حمادان ، وعندهم حمادان ، عندنا حماد بـن زيـد ، الراوية المفيد ، والمحدث المجيد ، وحماد بن سلمة ، نصب للصدق علمـه ، وأجـرى فـي العلـم قلمـه ، وعنـدهم حمـاد عجرد ، الشاعر المعربد ، والضال الملحد ، وحماد الراويـة ، صاحب الأفكار الخاوية ، أمه هاوية .

ليشـــتان مـــا بيـــن
يزيد بن عمرو والأغر بن
المقامَة
الوقفة
فهـــمٌّ الفـــتى الأزدي
وهـــمٌّ الفـــتى القيسـيّ

السلف كالعيون ، علاجها أن لا تمس ، وكالدرر جمـاله أن لا يـدس ، والسـلف كالمـاء الـزلال فلا تشـوّبه بـالطين ، وكلامهم مبارك متين ، لا يفهمه إلا فطين .

السـلف أعلـم ، وأحكـم ، وأسـلم ، وأحلـم ، وأكـرم ، والمبتدعة أظلم ، وأغشم ، وأشأم ، وأجرم ، قل لا يسـتوي الخبيث والطيب ، والقحط والصيّب .

الذباب إذا وقع في الإناء ، فاغمسه فإن في أحد جناحيه داء ، وفـي الآخـر دواء ، وإذا وقـع المبتـدع فـي إنـاء السـنة النبوية ، فاهرقه بالكلية ، لأن في جناحيه كلها بلية .

الكلب المعلّم كُل ما صادَه ، لأنه جعل العلـم زاده ، وإذا جاءك المبتدع بصيد ، فقل حرام صيدك يا بليد ، لأنك مفسد رعديد .

بشّر من سبّ السـلف ، بكـل تلـف ، مـزّق اللـه قلبـاً لا يحب الأسلاف ، وأزهق الله روحاً تهوى المبتدعـة الأجلاف ، نفـس لا تحـترم السـلف مريضـة ، وروح لا تـوقّر السـلف بغيضـة . جـزاء علمـاء الكلام الجريـد والنعـال ، والسـياط

الطوال ، والقيد والأغلال ، لأنهم اشـتغلوا بالقشـور وتركـوا اللباب ، وفارقوا السنة والكتاب ، وخالفوا الأصحاب .

السلف : موحدون مسدّدون ، مقتصـدون ، عابـدون ، مجاهدون ، زاهدون ، متحدون ، متوادون ، متهجدون .

والمبتدعـة : متفرقـون ، متحـذلقون ، متنطعـون ، متفيهقـون ، متشـدقون ، قلقون ، متمزقون.

نوح الهداية ، ينادي ابن الغواية : اركب معنا ، فإن القارب يسعنا ، فقال الهبل : سآوي إلى جبل ، وما علم أن أعظم جبل ، إتباع سيد الرسل ، وطاعة الملك الأجل ، والعمل بما نزل .

المقـامَـــة الـيوســفـيّـــة

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾

كــأن الثريــا علقــت
وفــي جيــده الشــعرى
ولــو نظــرت شــمس
لقــالت معــاذ اللــه مــا

كنا نجلس كل يـوم ، مـع قـوم ، ينتقـون مـن الحـديث دررَه ، ويذكرون لنا العالم بحره وبرّه . فدَلِف علينـا يومـاً من الأيام ، شيخ ممشوق المقام ، كثير الابتسـام ، فصـيح الكلام ، فنظر في وجوهنا وتوسّم ، ثم تبسّـم وسـلّم ، ثـم جلس واتكى ، وتأوّه وشكى .

قلنا: ما الخبر ، أيها الشيخ الأغر ؟ قـال : تـذكرت مـن غبر ، أهل الأخبار والسير ، فعلمت أننـا بـالأثر ، قلنـا : مـا الاسم ، فقد أعجبنا الرسم .

قال : أنا عبيد الله بن حسان ، من أهل ميسـان ، قلنـا : كلامك محبوب ، فقص علينا قصة يوسف بن يعقوب ، فقال : مهمـا اهتـم العـالم بـالحفظ وحـرص ، لكـن الـذهن فـتر والخاطر نكص . وكفى بقصص الله وهو يقول : ﴿ [illegible] ﴾ .

[illegible]

المقامَة التاسعة

المقـامَـــة الـسـليمـانيـــة

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

حتى سليمان ما تم والريـــح تخـــدمه
الخلـــــود لـــــه والبـــدو والحضـــر
دانـــت لـــه الأرض فـــزاره المـــوت لا

ما مر من قديم الزمان ، ملـك كملـك سـليمان ، فقـد علم منطق الطير بلا ترجمـان ، وقـد اجتمعـت فـي غيبتـه الحيوانات والطيور ، في يوم فرح وسرور ، وهناء وحبور ، فقالت البهائم للأسد : أيها الأمير ، اجلس علـى السـرير ، فإنك أبونا الكبير ، فتربع جالساً ، ثم سكت عابساً ، فخاف الجميع ، وأصبحوا في موقف فظيـع ، فقـام الحمـار ، أبـو المغوار ، فقـال : يـا حيـدرة ، سـكوتك مـا أنكـره ، فقـال الأسد : يا حمار البلد ، يا رمـز الجلـد ، سـكتُ لأن الثعلـب غاب ، وقسماً لو حضر لأغـرزن فـي رأسـه النـاب ، فقـام الذيب يتكلم وهـو خطيـب مصـيب ، فقـال للأسـد : يـا أبـا أسامة ، إن الثعلب قليل الكرامة ، عديم الشهامة ، فليتك تـورده الندامـة ، فهـو لا يسـتحق السـلامة ، وكـان أحـد التيوس مع الجلوس ، فانسل إلـى الثعلـب فوجـده يلعـب فقـال : انتبـه أيهـا الصـديق ، فـالكمين فـي الطريـق، إن الأسد يتوعدك بالذبـح ، فاجتهـد معـه فـي الصـلح ، فقـال الثعلب : فمن الذي دهاني عنـده ، وغيـر علـي وده ، قـال التيس : هـو عـدوك وعـدوي ، الـذي فـي وادٍ يـدوي ، هـو الذيب الغادر ، صاحب الخيانة الفـاجر ، قـال الثعلـب : أنـا الداهية الدهياء ، لأنـثرن لحمـه فـي العـراء ، أمـا سـمعت الشاعر أحمد ، إذ يقول في شعر مسدد :

الـرأي قبـل شـجاعة
الـ

هـو أول وهـي المحـل

فلما حضر الثعلب إلى الأسد ، ودخل مجلسـه وقعـد ، قال أبو أسامة ، والثعلب أمامه : ما لكَ تـأخرت يـا ... تالله إن الموت أقرب إليك من حبل الوريد .

المكتبة السلمانية

قال الثعلب : مهلا أبا أسـامة ، أبقـاك اللـه للزعامـة ، سمعت أنك مريض ، فذهبت إلى البلـد العريـض ، ألتمـس لك دواء ، جعله الله لك شفاء ، قال : أحسـنت ، وسـهلت علـيّ الأمـر وهـونت ، فمـاذا وجـدت ، قـال : وجـدت أن علاجك في كبد الذيب مع حفنة مـن زبيـب ، فقـال الأسـد للذيب ، أمرك عجيب ، وشأنك غريب ، علاجي لديك ، وقد سبق أن شكوت عليك ، فلما دنا الـذيب واقـترب ، سـحبه الأسد فانسحب ، فخلع رأسه ، وقطـع أنفاسـه ، ثـم سـلخ لبـده ، وأخـرج كبـده ، فصـاح الغـراب ، وهـو فـوق بعـض الأخشاب ، يا أبا أسامة ، ما تترك الظلم والغشـامة ، فـرد عليه الأسد ، اسكت سَـدّ اللـه فـاك ، أنسـيت أنـك قتلـت أخاك ، ودفنته في تراب ، ما أقبحك من غراب .

قال الغراب : يا ظلوم يا غشوم يا مشؤوم . أنـا الـذي دل على بلقيس يا خسيس ، وجيت سـليمان ملـك الإنـس والجـان ، بنبـأ مـن سـبأ ، وحملـت الرسـالة فـي بسـالة ، ودعوت للتوحيـد ، وهـو حـق اللـه علـى العبيـد ، فبلقيـس أسـلمت بسـببي ، وحسـبي معـروف ونسـبي ، ثـم أنشـد الغراب :

ولقــد حملــت رســالة

يهــدي ســليمان بهــا

فوضعتها فـي حجرهـا

كـانت تقـدس شمسـها

فأعرض أبو أسامة ، وقطع كلامه ، وإذا بحية لها فحيح ، أقبلت تصيح ، قد ذبل شعر رأسها وشاب ، وما بقي لهـا إلا ناب ، فقال الأسد : من بالباب .

قالت الحية : أنا أم الجلباب ، فقال : ما اسمك يا حية ، وما معك من قضية ، قالت : اسمي لس ، وخـبري علـى ظـاهر فقـس ، أنـا كنـت اسـكن ، فـي قريـة مـن قـرى فلسطين ، رأسي في الماء ، وذنبي فـي الطيـن ، فعصـى أهل القرية خالقهم ، وكفـروا رازقهـم ، فسـاقني إليهـم ، وسلطني عليهم ، فقذفت في بيرهـم مـن سـمي زعافـا ، فماتوا آلافاً ، وهلكوا أصـنافاً ، وردم اللـه عليهـم القريـة ، لأنهم أهل فرية .

فلما ملك سليمان ، اختفت القرية عن العيـان ، فـأراد أن يرى القريـة رأي العيـن ، فاسـتدعى الريـاح فـي ذلـك الحين ، فقال للريح الشمالية ، هـبي قويـة ، وأخرجي لنـا تلك البئر المطوية ، والقرية المنسية ، قالت : يا نبي اللـه أنا أضعف من ذلك بكثير ، أنا خلقني ربي لتلقيـح الثمـار ، بقدرة القدير ، فقـال للغربيـة : أنـت لازلـت فتيـة ، فهـبي على هذه الدار ، لنرى ما تحتها من الآثار ، قالت : يـا نـبي الله ، أنا خلقني ربي لتلطيف الهواء ، وتبريد الماء ، ولكن عليك بالدبور ، فإنها التي أهلكت كل كفور .

فقال سليمان : أيها الدبور ، بأسك مشهور ، وبطشـك مذكور ، فأخرجي لنا القرية المنكوبة ، لنرى كل أعجوبة ، فهبـت ولهـا هريـر ، وزلزلـة وصـرير ، فـاقتلعت الـتراب والحجر ، ونسفت الشجر ، حـتى خرجـت القريـة واضـحة المعالم ، كل شيء فيهـا قـائم ، فوجـد الحيـة فـي الـبئر ، بناب واحد صغير ، فسمى القرية باسم البئر وناب الحية ، فصار اسمها نابلس كما في السيرة المرويّة .

فقال الأسد للحمامة ، يا أم يمامة ، حـدثينا عـن ملـك سليمان ، فلن يملك أحد مثله إلى يـوم القيامـة ، قـالت : حباً وكرامة ، يا أيها الهزبر ، ليس الخَبَر كالـخُبْر ، اعلم أنه ما أصبح يفرح بالملك بعد سليمان ، لمـا أعطـاه اللـه مـن الملـك والسـلطان ، ملـك الإنـس والجـان والطيـر والحيوان ، وكلم الوحوش بلا ترجمان ، بنيـت لـه القصـور من القوارير ، ونحتت له من الجبـال المقاصـير ، وخزنـت له في البحر القناطير ، وسخر الله له الرياح ، تحملـه كـل

صباح ، فملكه فوق ما يصفه الواصفون ، ولا يعلم ذلـك إلا العارفون :

ما عاد يفرح بالولايــة
أبــدا ولا يهنــي بعيــش
دنيا متى ما أضــحكت
أبكـت غداً مــن قاتــل أو

ثـم مـرت النملـة تقفـز قفـزا ، وتهمـز همـزا ، وهـي تقول : أما علمتم بخبري المنقول ، أنا التي كلمها سليمان ، وأعطاها الأمان ، وسجلت قصتي في القرآن ، أما قلــت للنمــل ، ادخلــوا مســاكنكم ، واحفظــوا أمــاكنكم ، ثــم أنشدت :

لا تحقـــرنَّ صـــغير بالجسم يبلـغ آفاقـا
الجســـم تحســـبه وأمجـــادا
لكنهــا همــم تســمو وهمــتي ذكـرت بـي

المقامة السلمانية

ثم مر الكلب ، رمز السلب والنهب ، قال : يا جماعة ، اسمعوا مني ساعة ، فأنـا مقصـود بالمـدح والهجـاء ، ومـا زالت الأشراف تهجو وتمدح كما ذكر صاحب الإنشاء ، فأنا أصيد الصيد ، وأقيده بقيد ، وحفظي للبيت سديد ، وبأسي لصاحبي شديد ، لكنني دائما بخـس محـدث ، كمـا ورد إن تحمل عليه يلهـث ، فلـي إصـابات وغلطـات ، والحسـنات يـذهبن السـيئات ، فلا تظنـوا أنـي آيـة فـي الخساسـة ، ومضرب المثـل فـي النجاسـة ، بـل انجـس منـي ، وهـذه فائدة خذها عني ، من ترك العمل ، بلا علم ، وأعرض عن التقـوى بعـد الفهـم ، وأسـرف فـي الظلـم . ثـم انفـض المجلس وقد امتلأت بالأنس الأنفس .

واعلم أيها الملهم أن سليمان أعظم من ملك من بني الإنسان ، وأقصر رسالة في الحديث والقديم :

المقـامَـــة الـحُسَــيـنـيّـــة

﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾

المقامَة الحُسننة

المقـامَــة الـتيميّــة

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾

علامـــة العلمـــاء لا ينتهي ولكـل لـج
والبحـــر الـــذي ســـــــــاحلُ
افخـر فـإن النـاس مستعظم أو حاسـد

قال الراوي نراك متيّم بابن تيميّة ، تذكره باليوميّة، ولك إليه ميل وحميّة ، فقـال : ليـس عـروس إلا بمهـر ، وحـديثنا عن ابن تيميّة غدوّه شهر ورواحه شهر ، وحسبك أنـه عـالم الدهر ، ألّـف الواسـطيّة فـذبت فـي حبهـا ، ودبّـج الحمويّـة فتذوّقت من لبِّها ، وجمع التدمريّة تدمّر كل شيء بأمر ربهـا ، آه يا أحمد ابن تيمية ، يا من اهتدى بسميِّه ، فنصـر السـنة وهزم الجهميّـة ، بـذل للطـالبين بحـره ، وعـرّض للسـيوف نحره ، ابن تيميه بطل ، هزّ الدول ، وأتْبع القول العمل .

رأيـته فرأيـت النـاس كـالفجر فـي شـرفٍ
فـــــي رجـــــلٍ والــدر فــي صــدفِ
جـرء فـــه كشـــعاعٍ ألفاظـــه قلـت هـذا

ابن تيمية للشـريعة ابـنٌ بـارّ ، هجـر الـدرهم والـدينار ، وهـو لأعداء الملة سيف بتّار ، جنتـه فـي صـدره ، لأنـه وحيـد عصـره ، وفريد دهره ، وقتله شهادة ، لأنه مجتهد في العبادة ، كثير الإفادة ، أرهب عبدة الأصـنام ، وأذل خصـوم الإسـلام ، وسـلّ علـى كـل ملحد الحسام، كلامه شهب ، وردوده لهب ، وألفاظه ذهب .

لـه موقـفٍ يحمي به
تشيد به الركبـان فـي البــدوِ
أقام عمود الدّين بالنور
وسـلّ حسـاماً فاتـك الوقـع
بـــــــــــــــــالكفر

تعطّل به سوق الباطل وكسد ، وخـافه كـل مـن عصـى وفسد ، لأن قلبه قلب أسد .

الرجل موحـد متعبـد متهجـد متفـرد مجـدد، زاهـد عابـد ساجد ماجد حامد رائد مجاهد، كـم أزال مـن بـدع ، وأظهـر من ورع ، وكم من ملحد قمع ، سيفه على الضلال مسنون، وقلبه عن حب الدنيا مسجون ، وهـو صـاحب فنـون ومتـون وشجون .

سارت في الآفاق أخباره ، طارت في البقـاع أشـعاره ، كـثر فـي الحـق أنصـاره، هـو مدرسـة الاعتـدال ، وجامعـة الاستقلال، ورمز النضال ، لا يهاب ولا يرتاب ولا يغتاب ،

للــه درك مــا تركــت يــوم الــوغى ويــداك
رسالـــــــــــــة فـــــي الكُـــــلاّبِ
أنفقـــت عمـــرك أنفقـت هــذا العــلم

ابن تيميـه فريـد ، لا يخضـع للتقليـد ، ومـا هـو ببليـد ، ولكنه عبقري رشيد .

لكلامـه حلاوة ، وعلـى كتبـه طلاوة ، نصـر المعصـوم ، وأفحم الخصوم ، الرجل رجل كفاح ، وإمام إصلاح ، مناضل يحب المناضـلين ، ويحـارب المغضـوب عليهـم والضـالين ، همة وثّابة ، وذاكرة خلاّبة ، ولسان جذّابة، هو إمـام التحريـر والتحـبير والتنـوير، ليـس بجامـد ولا جاحـد ، ولكنـه علامـة صامد ، مجاهد ، عابد . أخذ بـالعزائم وتـوّرع فـي الرّخـص ، وتجرع من أجل الإسلام الغصص :

إن كــان يرضــيك أن علــى الــتراب فهــذا
تهـــوي جماجمنـــا الفعـــل يرضـــينا
ما تخجل الشمـس إلا ولا تــهاب العـدى إلا

هـذا الإمـام كـأنه بكـل فضـل مخصـوص ، أعـاد الأمـة للنصوص ، وأراحنا من ضلال صاحب الفصوص . مرة يهيـل التراب على القدريّة ، وأخرى يلقي الموت علـى النصـيرية، سجن الاعتزال ، في زنزانة الإهمال ، خرج على التتار بالنار ، وحضر ذاك العراك ، فأذاق هولاكو الهلاك ، الرجل منصور ، وخصمه مقهور .

ترك المطاعم الشهيّة ، والمراكـب الوطيّـة ، والمنـاظر البهيّة ، له مع القرآن سمر ، ومع الذكر سـهر ، ولـه جلسـةٌ في السحر :

قلـت يـا ليـل هـل عامـر بالحـديث
بجوفـك سـرٌّ والأسـى كالشـرارِ
قـال لـم ألـقِ فـي كحديث الأحبـاب في

صرامة في الحق ، وإصرار على الصـدق ، وعلـم فـي رفق .

زهـد : فكأن الذهب تراب ، والجواهر أخشاب ، والدنيا خراب .

شـجاعة : فكـأن المـوت عطيـة ، والهلاك مطيّـة ، والمنيّة هديّة.

علـم : فكأن البحـر زخـر ، والمحيـط انفجـر ، والغيـث انهمر.

تواضـع : فهـو أرق مـن النسـيم ، رحيـم بالمسـكين واليتيم ، هذا الإمام جاد وليس بهازل ، وعن مبدئه لا يتنازل، ولهذا سكن أعلى المنازل .

أخلاق طاهرة ، وسنة عليـه ظـاهرة ، وهمـة بيـن جنـبيه باهرة :

لـه همـة لـو أن لما غربت حتى يجيء
للشـمس عشـرها لهـا الغـربُ
فيومـاً مـع الـذكر ويومـاً نـديم للقـنا

مـا هـذا العمـق والتأصـيل ، واتبـاع الـدليل ، وغـزارة التحصيل ، لو أن ابن تيمية مبتدع ما فهمنـاه ، ولـو انصـرف للدنيا لاتهمناه ، لكن الرجل صاحب سنة ، يريـد الجنـة ، لـه عقل صحيح ، ولسان فصيح ، يفلج الخصوم بالحجـة ، ويـدل الناس على المحجة ، نعم الله عليه تامّة ، وهو فـي العلـوم هامّة، ثم هو رجل عامّة، علامة الصدق في العالِم ، العزوف عن الـدنايا ، وعـدم الخـوف مـن المنايـا ، وجمـع السـجايا ، وكذلك كان ابن تيمية .

ودليل فلاح العالِم ، لزوم أحسن طريقة ، والغوص على الحقيقة ، وحب الخليقة ، وكذلك كان ابن تيمية .

وبرهان رفعة العالِم ، خشية الملـك العلاّم ، وزُهـد فـي الحطام ، ورِفق بالأنام ، وتعليـم للعـوام ، وكـذلك كـان ابـن تيمية .

فتــى قـد حبـاه اللـه كأن عليـه من نجابتـه
بالحســـن يافعـــاً ســـــــــــــوْ
ولمـــا رأى المجـــد تـــ ذّى رداءً واســـع

ابن تيمية تفنن في العلوم ، ودفع الخصوم ، ولم يتعلـق بالرسوم .

ليـس العلـم عنـد ابـن تيميـة جبّـة مـدوّرة ، ولا عمامـة مكوّرة ، ولا هيئة مصـوّرة، بـل العلـم تقـى عميـق ، ودليـل بتحقيـق ، وفهـم دقيـق . وليسـت المنزلـة عنـد ابـن تيميـة مراتب ومناصب وتكالب ، بل تضحية وجهاد ، ونفـع للعبـاد ، وإصلاح للبلاد . سفينة علمـه لعبـاب الجهـل مـاخرة ، فآتـاه الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

معالم علم الرجل : فهم للسـور ، واتبـاع للأثـر ، وجمـع للدرر ، وإيمان بالقدر ، وجهـاد لمـن كفـر ، جعلـه اللـه فـي مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ليس بقليل علم فهو يغرف من معين ، ولم يـتزوج فهـو خـاطب الحـور العيـن ، بطـح البطائحيـة ، وجعـل المعطلـة ضحية ، مزق الزنادقة ، وأغرق بالحجـج كـل فرقـة مارقـة ، صار كالحاصب ، والعذاب الواصب ، على النواصب ، وأبـرم الردود والنقائض ، للروافـض ، كسـر ظهـور النصـيرية فـي كسـروان ، وأبطـل خرافـات الجهـل بـالقرآن ، وحـل ألغـاز الحلولية ، ورد كيد الاتحادية ، حفـر لحـاداً للملاحـدة ، وأخـذ كل واحد منهم على حده ، ذاكرتـه أصـابها وابـل الرسـالة ، وهمته جمعت الحكمة والبسـالة ، وذاكرتـه حملـت البراعـة والجزالة ، يشفي بعلمه الجهل ، ويعم سيله الجبل والسهل ، ويـروي بفتـواه الجمـوع الوافـدة ، ويخطـب فـي الجمـوع الحاشدة ، يفسر الآية فـي أشـهر ، فينفجـر منـه أنهـر ، لـه صولات وجولات ، وعزمات ، وثبات وإخبات. واجـه المغـول في شقحب ، فذكرنا قصـة علـي ومرحـب ، عجـب بعضـهم

من شجاعته في تلك المشاهد ، وقال عنه في الليل أحسـن عابد ، وفي النهار أشجع مجاهد .

فــي الليــل رهبــان لعـدوهم مـن أشـجع
وعنـــد لقـــائهم الفرســـــــانِ
هذا ابن تيمية الذي هـ ذ الشريعة آخر

إذا تكلم قالوا القرآن بيـن عينيـه ، والسـنة كلهـا لـديه ، والحكمة تتنزل عليه ، له كلام خالد ، ولفـظ شـارد، يقـول : كل أرض لا تشرق عليها شمس الرسالة فهي أرض ملعونة ، وكل نفس لا تنتصـر علـى الهـوى فهـي نفـس مسـجونة ، وكل مهجـة لا تبصـر الحـق فهـي مهجـة مغبونـة ، ويقـول : المعاصـي تمنـع القلـب مـن الجـولان فـي فضـاء التوحيـد ، وتحبس النفس عن محبة الرحيم الودود .

هذا الإمام بالحق يقول ، وله قبول ، جمع بيـن المنقـول والمعقول ، له قريحة حيّة ، لا تقبل زيف القوانين الأرضيّة ، ونيّة صادقة، معه حجة ناطقة ، ونفس للحق عاشقة ، لقمة سائغة تعاف الذل لغير الله حتى كأنه الكفـر ، ويـد بيضـاء بالعطـاء ومن وسخ الدنيا صفر ، رجل للملّة مديون ، وعمره للشـرع مرهون ، وقلبه عن الدنيا مسجون ، وله عند ربـه أجـر غيـر ممنون . هذا الشيخ ليس بالمتكلف ، ولا للنصوص متعسّـف ، عنده صفاء ذهن يغوص على الحقائق ، وقوة خاطر يـدرك الدقائق.

رد على أهل التصوف ، ونهاهم عن الانحراف والتكلف ، وألزم النواصـب حـب القرابـة ، واحـترام الصـحابة ، وأنكـر على الرافضة الغلو والشطط ، وبيّن لهـم الخطـأ والغلـط ، وله الكلمة البديعـة ، إذ يقـول : لا يسـع أحـد مهمـا كـان أن يخرج عن الشريعة ، ويقـول : ليـس أحـد يـدور معـه الحـق حيثما دار ، غير النبي المختار (صلى الله عليه وسلم) ، وهو القائل : كل يوم وأنا أجدد إسلامي ، وأكثر لنفسي اتهامي.

وهذه مقطوعة من الراس لا من القرطاس، وهي تحية للشيخ أبي العباس:

أبداً لسِـفْر المكرمات
وتحيــط بــرد الصــالحات
لـك في المعالي دولة
أنت الذي بهـدى الرسـول
شـيّدت صـرح الـدين
بالعـــلم والإخلاص أنـــت

وكان يرى أنه لا يسع أي أحـد الخـروج علـى الشـريعة ، وأن الأحوال والأقوال والأفعال المخالفة لها إنما هـي أمـور شنيعة ، ويقول فـي المنطـق ، وهـو قـول عـارف محقـق : لا ينتفع به البليد ، ولا يحتاج إليه الذكي الرشيد .

وهو لحم جمل ، غث على رأس جبل ، لا سهل فيرتقـى ولا سمين فينتقـل، والرجـل لـه حسّـاد ، لأنـه تفـرد وسـاد ، وجاهد لإصلاح كل فساد.

وهو صاحب أحوال عجيبة ، وآراءٍ مصيبة ، وله مقامــات جليلة ، ومذاهب جميلـة، حلـم عمـن حسـده ، وأكـرم مـن قصـده ، خـاطب السـلطان بـأثبت جنـان، وأفصـح لسـان ، وطــالبه بحمــل النــاس علــى الســنة النبويّــة، والأخلاق المحمديّة ، وشفع لأهل الحاجات ، وأرباب الضرورات. ولـم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يجعل لهٍ من دون اللـه ملتحـداً ، بل كان يكتفي بالقليل ، ويراه كافياً لمن عزم على الرحيـل ، وكان يعيش على شظف ، مقتدياً بمـن سـلف ، ويـرى أن الزائد علـى القـوت إشـغال ، وأن الـدنيا دار أهـوال ، وكـان ينفـق كلمـا يجـد ، ولـم يحجـب معروفـه عـن أحـد ، وكـان الغريب ، يجد عنـده مـن الـترحيب والتقريـب ، والمؤانسـة وعدم التثريب.

المقامَة التميّة

وكان يعظّم السنة أجل تعظيـم ، ويسـعى فـي صـيانتها عن كل معتدٍ أثيم ، وقد رزق السعادة في التأليف ، وأعطاه اللـه الحـظ فـي التصـنيف ، وقـد طرقـت العـالم رسـائله ، وأذنـت فـي أذن الـدنيا مسـائله ، وشـرّقت كتبـه وغرّبـت ، وسهّلت كـل صـعيب وقربـت ، وفيهـا مـن حسـن السـبك ،

ومتانة الحبك ، ما يدهش العقول ، مع جمعها بيـن المعقـول والمنقـول . وكـان يعتصـم بالبرهـان ، ويعـود إلـى تحقيـق وإتقان ، وأقر بعبقريتـه المخـالف والموافـق ، وعجـب مـن سرعة بديهته المؤمن والمنافق .

وقد نشر اللـه علـومه ، وقهـر خصـومه ، وثبّـت بـالحق جنانه ، وسدّد بالصدق لسانه ، مع تمام ديانة، وكمال أمانة ، وحسن صيانة ، وعظيم مكانة .

والرجل كالقمر الوهّاج ، والبحر الثجّاج ، سديد المنهـاج ، قوي الاحتجاج ، وهو صاحب قيام وتهجـد ، وأذكـار وتعبـد ، يلازم المسجد ، ويحب أحياناً العزلة والتوحّد ، لا يفاخر ، ولا تعجبه المظاهر ، ولا يكابر ، ولا يكاثر .

وهو الذي صال وجال ، وغلـب الرجـال ، فـي المحافـل المشهودة ، والمجامع المحمودة ، وكان يرهبه الملوك، مـع أنه يتواضع لكل مسكين وصعلوك.

وقـرع بـوعظه أسـماع الظلمـة ، حـتى أهـدروا دمـه ، وعرّض نفسه للأخطـار ، وخـاض الأهـوال الكبـار ، وحسْـبه الواحد القهار :

إذا اعتــاد الفــتى فأهون ما يمر بــه

وكأن هذا الإمام للدنيا عين إنسـانها ، وهديـة إحسـانها ، ضَنّت بمثله الأعصار، وطنت بذكره الأمصـار، نحْـ [illegible] من شفتيه ينساب ،

ولغة الخليل في فمه تذاب ، كـأن المُزَنـي قطـرة مـن مزنه ، والكسائي درهم فـي ردنـه ، طـالب خصـومه بقتلـه فصفح ، وظفر بهم فعفا وسمح ، لـو رآه ابـن معيـن، لقـال هذا إنسان العين ، ولـو أبصـره أحمـد ، لقـال هـذا المجتهـد المتفرد ، عرف من الحديث المتن والسند ، وما وقف على الظاهر وجمد ، بل غاص في المعاني ، وقطف من أغصانها الدواني ، وكان بمورد الشريعة بصيراً ، وقد تضلع بها وعب منها ماءاً نميراً ، عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، ولو أدركه الثوري لكان عنده أثيرا ، وقـد مـدحه ابـن كـثير كثيراً ، وقد ذهب الذهبي يفضل مذاهبه ، ويعظّـم مـواهبه ،

وكان يكتب العقود ، ويحل القيـود ، ويقيـم الحـدود ، وأقـام الحسبة في الأسواق ، ونشر معتقـد السـلف فـي الآفـاق ، وقـد انجـبر بـه كسـر الـدين ، ورفـع بـه عَلَـم الموحـدين ، وكسـرت بـه قنـاة الأكاسـرة ، وأرغمـت بـدعوته أنـوف الجبابرة ، وربما خطـب عنـد الـولاة بصـوت مرتفـع ، تكـاد القلـوب منـه تنخلـع ، سـجن المـزّي فـأطلقه ، وجـادل البطائحي فأغرقه ، ورد على الإخنائي فأشرقه .

ألف الاستقامة فأحيا بهـا سـوق الأتّبـاع وأقـامه ، وألّـف درء التعارض ، وردّ على ابن الفارض ، وما نسينا، اعتراضـه على ابن سينا ، ودحض بالرأي المصيب ، أخطاء الرازي ابن الخطيـب ، وحـذر مـن كـذب الشـعراء ، وزجـر عـن الظلـم الأمراء ، وأخـبر أن فـي الصـوفية أخطـاراً خفيّـة ، مخالفـة للسنة المصطفويّة ، ودفع بالدليل أهل التأويل ، وبالتأصـيل أهل التعطيل ، وبحسن التحصيل، أهل التجهيـل والتخييـل ، وهو متكلم بارع ، لكـل خيـر مسـارع ، متبـع للشـارع ، ولـه إشراق في العبارة ، ولطف في الإشارة ، مع سلامة صدر ، وارتفاع قدر ، وربما كتب في الجلسة عدة كراريـس ، يـأتي فيها بكل مفيد نفيس ، وكان يطالع في الآية أكثر مـن مائـة تفسير ، ثم يقلب بعد ذلك التفكيـر ، فيـأتي بعـد ذلـك بعلـم كثير ، وكان يمرغ جبهته ساجداً، ويدعو اللـه جاهـداً، فيفتـح عليـه الفتـاح العليـم ، بكـل معنـىً كريـم ، ورأيٍ مسـتقيم ، وكان يكثر من الابتهال والسؤال ، ويلجأ إلـى اللّـه فـي كـل حال ، كثير التذلل لمولاه ، كثير الخشوع له إذا دعاه ، وكـان يطيـل الصـلاه ، مخبـتٌ أوّاه ، دائـم الإلحـاح والمناجـاه ، والرجل محفوظ بعين الرعاية ، غني عن الإعلان والدعايـة ، ترجم له حتى الخصوم ، والرجل ليس بالمعصوم ، لكن الله فتح عليه فتوح العارفين ، فكان آية السـائلين ، وقـد كشـف أخطاء صاحب الكشّاف ، وبيّن مخـالفته للأسـلاف ، وأظهـر للأحياء ، أغلاط صـاحب الإحيـاء ، وزيـف كتـاب الفتوحـات ، وأبرز ما فيه من أمور قبيحات ، وأغار على أساس التقديس ، وأخرج منه نزغات إبليس ، وسقى كأس الندامـة، صـاحب منهاج الكرامـة ، وشـرح مـذهب الوسـطية ، فـي الرسـالة الواسطية ، وأظهر لدينه حميّة، في كتـاب الحمويّـة ، ودمّـر

صروح أهل المنطـق فـي التدمريّـة ، وردّ علـى الفلاسـفة ، وأخبر أنهم أهل سفه ، وأنهم أخطأوا فـي الاسـم والصـفة ، وغلط التلمساني العفيف ، وأثبـت ضـلال القونـوي صـاحب التصنيف ، وزندق الحلاّج ، وذم الحجّـاج ، وانتقـد الغزالـي ، وذكر أخطاء أبي المعالي ، ولام علماء الكلام ، وأهل الجـور من الحكام ، وله رسالة في السياسة الشرعية ، وسِفْر في الأمور البدعيّة ، وله رسائل طويلة ، في التوسل والوسيلة .

وتكالب عليه أهل البدع ، وسُجن فما رجـع ، وكـان اللـه معه فما وقع ، وجمعوا له العلماء فبزّهم ، وهدّدوه فهزّهم ، وقد خوّفوه السلطان ، وأخرجوه من الأوطان ، فما لانت له عريكة ، وما ذابت له سبيكة ، وعرضوه للموت ، فرفع على الباطل الصـوت ، وحـاولوا أن يُرْشـوه ، وبالمـال ينعشـوه ، فأبى واستعصم ، وحلف وأقسـم ، لا يـبيع دينـه بعَـرَض ، ولا يكون له دونه غرض، وكان يطلب الشهادة ، ويجّـود للآخـرة زاده ، ويضمِّر للجنة جواده ، وامتُحن فـي سـبيل اللـه أكـثر من مرّة ، وحصل له الجاه فما غرّه ، والعُصاة كانوا يتوبـون على يديه ، وتزدحم الوفود عليه ، وكان يتكلم بكلام يـدهش الحاضـرين ، ويـذهب بلـب المنـاظرين ، وكـانت الطوائـف تحضر درسه ، فيذهلهم بكـثرة علـومه فـي جلسـه وأقسـم بعضهم ما رأينا مثلك ، وما أبصـرنا شـكلك ، وكـانت العامـة تقف إجلالاً له في الطريق فيقابلهم بخلق رقيق ، وقـد آذى الحسّاد أحبابه ، ونالوا أصـحابه ، فمـا زادهـم بـه إلا تعلّقـاً ، وعليه إلا تحرّقاً ، والكل عليـه مشـفق ، والعـالم علـى حبـه مطبق ، وليس في تركته دينـار ولا درهـم ، فأنسـى النـاس بزهده إبراهيم بن أدهم ، وكلما حصل لـه مـن مـال ، أنفقـه ذات اليميـن وذات الشـمال ، وهـو الـذي أفحـم القبوريـة ، ونشر معتقد السلف في سـوريّة ، وألـزم الحكـام بشـريعة الإسلام ، ودفع مـن قَرْمـط فـي النقليّـات ، وسفسـط فـي العقليّـات ، وهـو الـذي قعّـد للعقيـدة القواعـد ، ودبّـج تلـك الفوائد الفرائد ، وكلامه يتميز على كلام سواه ، وقد نصــره الله على من عاداه ، وظهرت علـى يـديه كرامـات ، وعليـه من السنة علامات ، وذكر المِـزي أنـه مـا سـمع بمثلـه مـن خمسمائة عام .

وأقسم الذهبي أنه ما رأى مثله من سائر الأقـوام ، ولـو طلب منه أن يحلف بين الركن والمقام ، وترجـم ابـن كـثير لأبــي العبــاس ، فنســي الدولــة والنــاس ، وكتــب عنــه المستشرقون ، وعلى أخباره يتسابقون ، وله سيرة طويلـة في دائرة المعـارف ، ومخطوطـات كـثيرة فـي المتـاحف ، وترجمت كتبه إلى اللغات الأجنبية ، واستفادت مـن أفكـاره الحضـارة الغربيــة ، والنــاس فــي كتبــه مــا بيــن مختصــر ومعتصر، وناقد ومنتصر ، وقادح ومـادح ، ومخـرّج وشـارح، وأثنى عليه المستشـرق جولـدزهير ، وألفـت فيـه عشـرات الدكتوراة والماجستير ، وهو صاحب أثـر ، وكتبـه غـرر ، ذب عـن القرابـة ، وأثنـى علـى الصـحابة ، لـه ذاكـرة وقّـادة ، وطبيعة منقادة ، وذهن حـاد ، وعـزم جـاد ، إذا قصـد بـاطلاً أزهقه ، وإذا اعترض على قولٍ مزّقه ، وقد طالعت من بعـد القرن الثالث إلى زمانه ، فلم أجد مثلـه فـي عملـه وذكـائه وإتقـانه ، ولا يغمـط فضـله إلا مكـابر ، ولا يعـاديه إلا مبتـدع ماكر، وله نوافل وأوراد ، وأيامه بالطاعة أعياد ، فغفـر اللـه ذنبه ، ولقي بالرضا ربّه ، وأنزله منازل الصـادقين ، وجمعنـا به مع النبيين والمرسلين ، آمين .

انظم الدمع أيها

مثلما تملؤ المحاجر جمـراً

ففـــؤادي مضـــرّج

قــد رمتــه الأيــام شــفعاً

ليــت مليــون مهجــة

للمنايـا وقـد تـأخّر شـهرا

فبقــاء العظيــم فــي

وذهــاب اللئيــم يُــذهب

مقـامَـــة الإمام محمّد بن عبد الوهّـاب

﴿ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾

أغر تشرق من عينيه مــن الضــياء لتجلــو
ملحمـــــــــــة حنـــــدس الظلـــــم
فــي همــة عصــفت كـأنه الغيـث يسـقي

الإمام المجدد ، شيخ الإسلام الموحد ، الذي جدد دين النبي محمد . أصبح في الإسلام علماً معروفا ، وصار بالإمامة موصوفا . دعا في التوحيد أصل الأصول ، وتابع الرسول ، وجمع بين المنقول والمعقول .

خرج في زمن أحـوج مـا يكـون إلـى مثلـه ، فـي علمـه وعقله ، فذكّر الخلف ، عقيـدة السـلف ، تـدرع بـالعلم فـي فترة ركنت العقول إلى الجهل ، وتسـلح بالصـبر فـي زمـن قل الناصر لأهل الفضل ، وذكّر الناس بـأعظم مسـألة دعـا إليها الأنبياء ، وهي أهم قضية عند العلمـاء ، فصـحح للنـاس أصل المعتقد الحق في ربهم تبارك فـي علاه ، ونفـض عـن عقول أهـل زمـانه مـا نـال جنـاب التوحيـد وشـوّه محيّـاه . فحمى جناب التوحيد ، وسدَّ كل ذريعةٍ تفضي إلـى الشـرك بالولي الحميد ، لم تكـن دعـوته صـوفيه ، بنيـت علـى شـفا جرف هـار مـن المخالفـات البـدعيه ، الـتي تنـافي الأصـول الشرعية ، بل كـان صـاحب أثـر ودليـل ، وتحصـيل شـرعي وتأصـيل . ولـم تكـن دعـوته فكريـة تبنـى علـى افتراضـات العقول ، بل أثرية سلفية تقوم على ما صح من المنقول .

هذا الإمـام ، لـم يشـغل الأمـة بعلـم الكلام ، بـل أسـعد الناس بميراث سيد الأنام . ولم يتشدق بعلم المنطـق ، بـل سال بيانه بالعلم الموثق ، وجرى لسـانه بـالقول المحقـق . وسلّمه اللـه مـن طيـش الفلاسـفه ، أهـل الزيـغ والسـفه ، فكان صاحب حجة قاضيه ، على سنة ماضيه ، على طريقـة من سار ، من السلف الأبرار ، يعرض المسألة فـي سـهولة

ويسر ، مجانباً المشقة والعسـر ، فـدنا إليه قريباً في الملـة المحمديه ، وجبى إليه ثمار الشريعة المحمديّه.

عرف الجادة فوصل ، ودعا إلـى مـا دعـا إليـه الرسـل . كان في زمنه علماء ، وفي عصره فقهـاء ، لكـن منهـم مـن ظن أن السـلامة فـي السـكوت ، ولـزوم الـبيوت ، وطلـب القوت ، ومنهم من كان في علمه لوثـة مـن البـدع ، فكيـف يدعو الناس إلى ما أنزله الله وشـرع ، ومنهـم مـن اشـتغل بالمناصـب ، عـن أداء الـواجب ، فهمـه ثمـن بخـس دراهـم معدودة من الحطام ، يأخذها ثمناً لفتاوى يتخذ بها جاهاً عند الطغام .

أما هذا الإمام المحفـوظ بالعنايـة ، المحـاط بالرعايـة ، فأشـرقت شمسـه مـن مطـالع السـنة ، وصـارت قـافلته الميمونة إلى الجنة .

هذا المجدد لم يأت بمرسوم من الأستانة ، ولمن يطلب المنزل لدى العامة والمكانة ، بل جاء مصلحاً يعيد الأمة إلى سيرتها الأولى الربانية ، وإلى ما كانت عليـه مـن المحاسـن الإيمانية، والتعاليم الربانية . وجد في زمن هذا الإمام ، فـي بلاد الإسلام ، مشائخ لهم عمائم كالأبراج ، وأكمام كالأخراج . تُفعل أمـام أعينهـم كـل طامـة ، وهمهـم تبجيـل العامـة ، يجبون الأموال بالاحتيال ، فلا يفتي أحدهم إلا بثمن معجـل ، أو برهان مؤجل ، ليصبح العلم لديهم عمامة مكوّرة ، وجبـة مدوّرة ، يعظّم بها لـدى الرعـاع ، ويسـكت عـن كـل شـرك وابتداع . يرى أحدهم الجهال يطوفون بـالقبور ، فلا يغضـب ولا يثور ، لأن دماء حب الدنيا في عروقـه تجمـد ، فهـو تـائه مقلد ، بارد متبلّد .

فجـاء هـذا الإمـام الـذي مـا تـدنس بالـدنيا جلبـابه ، ولا اتسخت بالبدعة ثيابه ، وقد عقد العـزم ، واتصـف بـالحزم ، تحدوه همة عارمة ، وعزيمة صارمة ، فـدعا إلـى تجديـد مـا انـدرس مـن الـدين ، وإظهـار مـا خفـي مـن دعـوة سـيد المرسلين .

فكان الناس معه أقسام ثلاثة ، فأصحاب حسد ، ضل رشدهم وفسد ، لسان حـالهم : لمـاذا اخـتير هـذا مـن بيننا ، إنه يدعو إلى غير ديننا ، فكبتهم الله بنصر هذا الإمام ، وتآكل حسدهم في صدورهم على مر الأيام .

وأصحاب بدعة وهوى ، سـقط نجمهـم وهـوى ، ذاق منهم الأمـرّ ، فاحتسـب الأجـر وصـبر . **وأصحاب قلـوب حيّة** ، وفطر نقيّة ، عرفوا أن دعوته دعوة مرضيّة ، سـلفيّة سنيّة ، فركبوا في سفينة التجديد ، مع هذا الإمام الرشـيد ، حتى وصلوا معه إلى شاطئ الإصلاح ، وساحل الفلاح . فإذا رأيت من ينال هـذا الإمـام ، ويحـط مـن قـدر هـذا الهمـام ، فاعلم أنه مخذول مغرور ، أو جاهل مغمور .

مقامة الإمام محمد بن عبدالوهاب

واعلم أن الصادق يجعل الله لدعوته التأييـد والتمكيـن ، والكاذب يظهر الله عواره ولو بعـد حيـن . وهـذا الإمـام لـم يكن مطلبه السلطان ، وجمع الجنود والأعـوان ، والاسـتيلاء علـى البلـدان . بـل كـان قصـده تصـحيح معتقـد النـاس ، وتصفية التوحيد مما أصـابه مـن الأدران والأدنـاس ، وإزالـة الخطـأ والالتبـاس ، فأصـاب عيـن الحقيقـة ، ولـزم أحسـن طريقـة ، حـتى شـرّقت بـالخير ركـائبه ، وغرّبـت بالفضـل نجائبه ، فتقبلها عباد الله بقبول حسن ، وعدوها عليهـم مـن أعظم المنن ، وشرق بها من ضـل رشـده ، وخـاب جهـده ، فما ضر إلا نفسه ، وما اقتلع إلا غرسه ، وهذه سنة الله فـي البشرية ، وحكمته في البريّة .

لا تشرق شـمس دعـوة صـادقة ، بالتوحيـد ناطقـة ، إلا قيض الله لها أنصاراً وأعداء ، لتتم سنته في المدافعـة بيـن الفجّار والأولياء ، وليتخذ شهداء .

بـدأ الإمـام بالتوحيـد لأنـه المسـألة الكـبرى ، والعـروة الوثقى . لأن من يعلّم الناس الفروع وقـد ذهبـت الأصـول ، كمثل من يداوي الأجسام وقد فقدت العقول ، وكيـف تفلـح أمة يطوف على القبور رجالها ، وينشأ على الشرك أجيالهـا .

قبـل أن تـدرّس النـاس الفـروع الفقهيـة ، صـحح لهـم مسألة الألوهية ، وقضية العبوديّة ، لتأتي البيوت من أبوابهـا ، وترد المسببات إلى أسبابها .

وقبل أن يعلم الناس أبواب السياسة ، وطرق الوصـول إلى الرئاسة ، يجب تعليمهم الدين الخالص الذي دعت إليـه الأنبياء ، والتوحيد الحق الذي جاءت به الملّة الغرّاء .

هل يقر للعبد قرار وهو يسمع

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقـامَـــة الـبـازيَّـــة

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ

إن قام سـوق العلـم أو مـد بـاع الزهـد
فهـــو كمالـــك فالشـــيباني
أو غـــاص فـــي والفقـه والتعليـم
التفسير قلت مجاهد كالنعمـــان

للقلب من ذكره اهتزاز ، وللقصيد في مدحه ارتجـاز ، تفرد بالمكرمات وامتاز ، وحظي بحسن الثنـاء وفـاز ، إنـه عبد العزيز بـن بـاز . أوصـلته الهمـة ، إلـى إمامـة الأمـة ، وبلغته العزيمة المنـزلة الكريمـة ، ودلتـه السـنة ، طريـق الجنة . خلق أرق من النسيم ، وعلم أعذب من التسـنيم ، كلامه يوشى بالأثر ، كأنه در انتـثر .

ابن باز : اتباع لا ابتداع ، وقبولٌ عم البقـاع ، وفضـله كلمة إجماع ، مـع اعتصـام بالـدليل ، واهتمـام بالتأصـيل ، وبراعة في التحصيل ، يشرفه تحقيق في النقـل ، وسـداد في العقل ، جمع مع كرم الطبيعة ، رسوخ في الشـريعة ، هجر فـي طلـب العلـم الرقـاد ، فحصـل واسـتفاد ، وأخـذ الرواية بالإسـناد ، حـتى تـرأس وسـاد ، وعـم علمـه البلاد والعباد .

ابن باز : علـى نهـج السـلف ، بلا تنطـع ولا صـلف ، روح بالتقوى طاهرة ، ونفس بالعلوم بـاهرة ، أعـذب مـن ماء السحاب ، وأرق من دمع الأحباب .

ابن باز في هذا العصر : إمام الغرباء ، وعالم الأولياء ، وزاهد العلماء .

تقلـد **ابن باز** أرفـع المناصـب ، فكـان آيـة فـي أداء الـواجب . حضـرت لـه مجـالس وموائـد ، وحملـت عنـه فوائد ، وألقيت عليه قصائد ، ورويت عنه فرائد .

كانت محادثة الركبان عــن شــيخنا البــاز
تخبرنـــــــــــا تــروي أروع الخــبر
حـــتى التقينـــا فلا أذني بأحسن مما قد

لمـا جـاء خـبر وفـاة هـذا الإمـام تعـثرت بـه الأفـواه ، وتلعثمـت بـه الشـفاه ، وقـال القلـب هـذا خـبر لا أقـواه ، وقـالت النفـس مـا أشـد هـذا المصـاب علـى القلـب وأمـرّ أقساه .

أصــيب بــه الإســلام علــى فقــده حــتى
وارتـــــج أهلـــــه أصــيب بــه الصــبر
كــأن بنــى الإســلام نجوم سـماءٍ خر مــن

ابن باز بـز بعلمـه الأعلام ، وأتعـب بسـيرته الأقلام ، وأهـــــــدى عمـــــــره للإســـــــلام ، وكفل بكرمه الأيتام .

لو رآه يحيى بن معين لقال : مرحباً بعلم الإسناد ، ولو أبصره حاتم الطائي لقال : أهلاً يا سيد الأجواد ، ولـو لقيـه الأحنف بن قيس لقال : منكم الحلم يستفاد .

ابن باز بَرَّ الأقران ، بطاعـة الرحمـن ، وعلـم السـنة والقــرآن ، وإكــرام الضــيفان ، واحــترام الإخــوان ، وبــر الأقارب والجيران .

سـعى سـعيهم قـوم ومــا قصــرّوا عنــد
فلـــم يـــدركوهمو اللحــاق ولــم يــألوا
ولكــن لهــم ســبق فجـاء لهـم مـن كـل

إن زرته غمرك بالإكرام ، وأتحفك بـالاحترام ، وآنسـك بطيــب الكلام ، وضــيفك ألــذ الطعــام ، وعلمــك الآداب والأحكام ، فهو يجمع الجودين ، وبما تقوم الدنيا والدين .

ابن باز أبو الدعاة ، وشيخ القضـاة ، وناصـح الـولاة ، تحبه لتقواه ، وتحترمه لفتواه .

حاضـر فـي الجامعـات ، وتشـرفت بـه المحاضـرات ، وتعطـرت بعلمـه النـدوات ، وطـابت بلقـائه الأمسـيات ، وسعدت بوجوده الجلسات ، غنـي فـي زي فقيـر ، وزاهـد في موكب أمير ومفتي في منصب وزير ، حمـل كـل أمـر

خطيـر ، فكـان نعـم المشـير ، وصـاحب الـرأي الفطيـر والخمير ، عليه بسمة في وقار ، ولين فـي إصـرار ، ودأب في استمرار ، السنة له شعار ، والصلاح لـه دثـار ، وعليـه من السكينة أنوار ، لم يكن لسانه كالمقـراض للأعـراض ، ولم يكن له ارتياض في جلب المال والأغراض :

عفيــف مــن الــدنيا كــأن بــه عــن كــل
خفيــف مــن الخنــا فاحشـــــة وقـــــرُ
فله قسـمت أخلاقـه لصـاح لكـل منهـم

ابن بـاز : نفـع للخليقـة ، وإدراك للحقيقـة ، ولـزوم الطريقة ، عدل في الأحكـام وإنصـاف ، وتواضـع وعفـة ، وبـرّ الأشراف ، وكرم تشهد به الأضياف .

أثبت **ابن باز** أن العلم يشرف من حمله ، وأن المال يسوّد من بـذله . ليـس فـي قـاموس **ابن بـاز** أن الجـود يفقر ، بل صاحبه يشكر وبالخير يذكر ، لو ترجم كرم ابــن باز في أبيات

لقيـ أنفق ولا تخـش مـن ذي
ولا تطــع فــي ســبيل
من جـاد جـاد عليـه اللـه
عيــوبه وكفــى بــالجود

تميـز **ابـن بـاز** بـالتعمق فـي الأثـر ، والغـوص علـى الـــــــدرر ، مـــــــع تصـــــــحيح الخـــــــبر ، وصحة النظر .

ابتعد **ابن باز** عـن شقشـقة علمـاء الكلام ، وعقعقـة الفلاسفة الطغام ، وتشدق أهل المنطق اللئام . ولم يكـن يسقط علـى السـقطات ، ولا يلقـط الغلطـات ، بـل كـان يدفن المعائب ، ويذكر المناقب ، فملأ الله بمحبته القلوب ، وطار ذكره في الشعوب .

فـالعلم عنـده حـديث وآيـة ، ونـور وهدايـة ، وعمـل لغايـة ، واسـتعداد لنهايـة ، أعـرض عـن مذاهب المبتدعة الضلال ، وأهل الـدنيا الجهـال ،

وأساطين القيل والقال ، وهجر الجدال ، فسـلم من همز الرجال .

خلـق كـأن الشـمس كـرم الطبـاع وزينـة
تحســـــده علـــــى الأوصـــــــــاف
ضـ ـ منت لـ ـ ه الـ دنيا ذكـ ـ ر مـ ـ ع حـ ـ اد الـ لـ يـ ـ

ليس في مجلسه أرقام الأسعار ، ولا فضول الأخبـار ، ولا غرائـب الأقطـار ، ولا عجـائب الأمصـار ، وإنمـا كلام العزيز الغفار ، وحديث النبي المختار ، وما صح من آثـار . (كمثل حامل المسـك إمـا أن تبتـاع منـه وإمـا أن يتحفـك بطيبه) .

زهد **ابن باز** زهد متواضع ، لـم يشـر إليـه بالأصـابع ، ويعلن على الملأ في المجامع ، لأن الدنيا عنده أهـون مـن أن يعظم الزهد فيها ، وأحقر مـن أن يمـدح النظـر إليهـا ، فكـان زهـده صـامت ، وتواضـعه سـاكت . خـدمته ألسـنة الخلق بإعلان الفضائل ، وأحبته قلوب الناس فـوعت [illegible] الرسائل .

أفضل شـيء فـي العـالم : مراقبـة الجليـل ، والعمـل بالتنـزيل ، والاستعداد للرحيل ، والرضـا بالقليـل ، وكـذلك كان **ابن باز** .

المقامَة البازيَّة

ليس في قاموس **ابن باز** تفصّح ولا تبجّح ولا تمدّح .

لا يحـب الإطـراء والمـراء والإغـراء ، لا يـتزلف عنـده برنين الدعاية ، ولا يتقرب لديه برخيص السعاية ، لأنه قــد حقق الولاية .

ليس العلم عند **ابن باز** بالتفاصح ، والتمادح ، والزهو بالمشالح ، والحرص على المصالح ، بل العلم لـديه حمـل الشريعة في إخبـات ، وطلـب الفائـدة بإنصـات ، والعمـل

بالحجة في ثبـات . العـالم مـن عنـد الحـرام كـف ، وعـن الشهوات عف ، وقال على غرور الدنيا تف ، وكـذلك كـان **ابن باز** .

ابـن بـاز مـن مدرسـة التجديـد ، وليـس مـن أهـل التقليد ، بل هو صـاحب حجـة ، سـالك المحجـة ، معتصـم بالبرهــان ، عــالم برضــى الرحمــن . ليــس بمتعصــب للمذهب ، بل يتبع الحق أينما وجد ، ولا يتجـاوز الـدليل إذا صح السند .

صحبت هذا الشيخ فلـم أر فيـه عجرفـة المتطـاولين ، ولا تخـرص المتقـوّلين ، ولا ترخـص المتـأولين ، ولا غـرور الجاهلين ، بل دأب فـي تحصـيل الفضـيلة ، وحـرص علـى الصفات الجليلة ، واتصف بالأخلاق الجميلة .

كان الشيخ يحترم الأئمة السـالفين ، ولـم يكـن يجـرّح المخالفين ، بل كان رفيقاً مما جعل الناس له مؤالفين .

إذا صــاحبت قومــاً فكــن لهمــوا كــذي
أهـــــل فضـــــل الرحـــم الشـــفيق
ولا تأخـذ بزلـة كـل فتبقى في الزمان

الطريقة الباز

إن التقوى إخلاص في الأعمال ، وصدق في الأقـوال ، ومراقبة لله في الأحوال ، وكذلك كـان هـو . أدرك الشـيخ شرف الزمان ، فـوزع وقتـه فـي وجـوه الـبر والإحسـان ، وهذه أعظم علامة ، على بلوغه درجة الإمامة .

فهـو رجـل خاصـة ينصـح ويعـظ ويتلطّـف ، ولا يغلـظ ويشنع ويعنف .

وهو رجل عامّة فكان بالناس رفيقـا ، وبالمستضـعفين رقيقا .

وهو رجل شفاعات تُلبَّى لديه الطلبـات ، وتحـل عنـده المشـكلات ، ويجيـب علـى التسـاؤلات ، وتعـرض عليـه المعضلات .

الإمامة عند هذا الإمام : يقيـن عنـد الشـبهات ، وصـبر عند الشهوات ، وتحمل للمسئوليات .لم يكـن هـذا الإمـام في فتواه يفرع المسائل حتى يحيـر السـائل ، بـل وضـوح

فـي العبـارة ، ولطـف فـي الإشـارة ، فلا إسـهاب يشـتت الأذهان ، ولا اقتضاب يربك الحيران ، بـل إصـابة للقصـد ، مع اختصار للجهد . فهو أدرى بقوله تعالى :

المقامَة البازيّة

بل كان دائماً كثير الترحاب ، لـيّن الجناب ، قريبـاً مـن الأحباب ، مكرماً للأصحاب .

وقـد شـجعني علـى الـدعوة بخطـاب منـه مختـوم ، وباسـمه موسـوم ، وبأنفاسـه مرسـوم ، وهـو عنـدي إلـى اليــوم . وقــد وصــلت دولاً أعجميــة وعربيــة ، وشــرقية وغربية ، فما رأيت مثل هذا الإمام ، على كثرة من عرفنـا من الأنام . وأظن عين المجد قد بكت عليه ، وروح التاريخ حنت إليه ، ولو فاح طيب ثناءه في الوجود لكـان مسـكا ، ولو نظمت مكارمه فـي عقـد لانفصـم مـن طـوله سـلكاً سلكا . وقد رثاه العامة والحكام ، ورجال الإعلام ، وحملـة الأقلام ، وبكـاه رجـال الصـحافة ، وأهـل الأدب والثقافـة ، ونوه بفضله العلماء ، وبكاه الشعراء ، وأثنى عليه الأدباء ، وحزن عليه الزعماء . وما سمعنا بمثل جنازته في الإسلام ، ولم نعلم أنه مر مثلها مع الأيام ، من كثرة الزحام ، ومـا حل بالمسلمين من الآلام .

فقد اختلـط الـترحم عليـه بالـدموع ، ومـاجت كـالبحر الجموع ، وأعلـن خـبر مـوته الإعلام المرئـي والمسـموع . ووددت أن النصارى شـاهدوا جنـازته واليهـود ، ورأوا ذلـك الموقــف المشــهود ، وأبصــروا تلــك الحشــود والبنــود ، والوفود والجنود ، ليعلموا منـزلة علمائنا ، وقَدْر حكمائنـا ، وأننـا أمـة تقـدس الديانـة ، وتـوقر حملـة الأمانـة ، وأهـل الرزانة والصيانة .

ثــوى طــاهر الأردان غداة ثوى إلا اشتهت
لـــم تبـــق بقعـــة أنهـــــا قـــــبر
تـردى ثيـاب المـوت لهـا الليـل إلا وهـي

وقد رثيته بقصيدة بازيّـة ، أصـف فيهـا عظـم الرزيّـة ، أنزله الله رضوانه ، وأسبغ عليه غفرانه ، وبوّأه أكرم نزل ، وألبسـه أجمـل الحلـل ، جـزاء مـا قـدّم ، وأفـاد وعلّـم ، وأتحف وأكرم ، فلـه علينـا حـق الـدعاء ، وحسـن الثنـاء ، وهـذه سـنة الوفـاء ، ومـذهب الأصـفياء ، وعسـى الملـك العلام ، ذو الأيادي العظام ، والمنـن الجسـام ، أن يجمعنـا به في دار السلام ، مع السلف الكرام .

قاسمتك الحـب مـن فقمـــت أنشـــد
ينبـــوعه الصـــافي أشـواقي وألطـافي
لا أبتغـــي الأجـــر إلا فهو الغفـور لزلاّتـي
مـــن كريـــم عطـــا وإســـــــــرافي
عفـواً لـك اللـه قـد لأنهـا ذكرتنـي سـير
أحببـــت طلعتكـــم أســـــــــلافى

المقـامَــة الـدّعـويّـــة

﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾

وقد حملت القلم والدواة ، ورافقت الدعاة ، ولقيت العلماء والقضاة ، وعرفت البسطاء والدهاة ، وجبت مع إخواني البلاد ، وخالطت العباد ، فكم عرفنا من ناد وواد ، وسرنا في حاضر وباد ، فأخذت من الناس المواهب ، واستفدت من الزمان التجارب ، وميّزت المشارب ، ونزلت تلك الخيام ، والمضارب .

فالداعية الناجح ، والواعظ الصالح ، مـن جعـل محمّـداً إمامه ، فعرف هديه وكلامه ، فراش بهداه سـهامه ، وجمـل بسنته مقامه . والداعيـة مـن كـان بالنـاس رفيقـا ، وعـاش معهم رقيقا ، وصار بهم شفيقا ، فاجتنب العنف والتجريـح ، والإسراف في المديح ، فلزم القول اللّين ، والخُلق الهيّـن ، فصار لقلوب الناس طبيبا ، ولأرواحهم حبيبا .

غلام إذا مـــا شـــرّف لـــه أنفـــس الحضـــر
الجمـــــع صـــــفقت واكتمـــــل البشـــرُ
لـــه منطـــق لـــو أن مشى بيننا من حسـن

المقامَة
الدّعويّة

ولي في الدعوة انتقال وارتحال ، والفضل لذي الجلال ، وليس لي في الفضل فِلْس ولا مثقـال . وكـانت البدايـة

في أبها ، وهي من الشمس أبهى ، ومـن الـزلال أشـهى ، وأهلها من أرق الناس قلوباً ، وأقلهم عيوباً ، تغلـب عليهـم الاستجابة ، والذكاء والنجابة .

هيّنـون ليّنـون أيسـار

صيـــد بهـــا ليـــل

مِـن تلـق منهـم تقـل

مثّل النجوم التي يسري

ثـم زرت مكّـة ، فعرفـت مـن الحـب يقينـه وشـكّه ، فصرت لأهلهـا بـالمودة ضـامناً ، وصـار الأنـس فـي قلـبي كامناً ، وآمن فؤادي ومن دخله كـان آمنـا . فلـو أن الـثرى يُقَبَّـل لقبّلـت ، لكننـي لمـا رأيتهـا كبّـرت وهلّلـت ، وحـول البيت هرولت .

كبّرت عند ديـارهم لمـا

منهـا الشـموس وليـس

وعجبت من بلد مكـارم

فيها السحاب صـخورها

ثم سرت إلى الرياض ، وأنا من الهم خالي الوفــاض ، فلاحـت لنـا الأعلام النجديـة ، والأمـاني الورديـة ، ووصـلنا أرض التوحيد ، وبلاد التجديد ، فوجدنا العلماء ، والكرماء ، والحلماء .

لـو كـان يقعـد فِـوق

قَوم بآبائهم أو مجـدهم

مِحسبـــدون علـــى مـــا

لا ينـزع الله منهم مـاله

ثم حملنا الشوق إلى طيبة ، وهي أمنيتنا في الحضــور والغيبـة ، وهـي أرض الجلال والهيبـة ، فيـا قلـب واللـه لا ألومــك فــي هــواك ، ولا أردك عــن منــاك ، لأن أحــب

الناس يرقد هناك . أليس في هذه الروابي مشى محمّـد ، وصلى وتعبد ، وقام وتهجد .

المقامَة الدّعويّة

بنفسي تلك الأرض مـا
وما أحسـن المصـطاف
كتبنا عليـها بالدمـــوعِ
هـــي الـــدار صـــارت

ثم رحلنا إلـى جـدة ، ولنـا عنهـا مـدة ، فلمـا وصـلناها ذهب كل عناء وشدة ، وقد أخذنا من الحب عدة ، وحملنـا في القلوب مودة . فلقينا بها شـباباً كالسـحاب ، برؤيتهـم تم الأنس وطاب ، وذهب الهـم والأوصـاب ، أخلاقهـم أرق من النسيم ، وعشرتهم أجمل من الدر النظيم .

هـــم القـــوم إن قـــالوا
أجـــابوا وإن أعطـــوا
بهاليـــل فـــي الإســـلام
لأوّلهم في الجاهليـة

ثم جاءتنا برقية ، فسافرنا إلى الشرقية ، وما أبقى لنا الشــوق بقيــة ،فقابلونــا بالحفــاوة والإكــرام ، والحــب والاحترام ، ووجدنا رقة الحضارة ، والبشاشـة والنضـارة ، فعجزنا عن الشكر ، وهام بنـا إليهـم الـذكر ، ومـا نسـيهم الفكر :

للـــه تلـــك الـــدار أي
للجـــــود والافضـــــال
هم كالشـموس مهابَـة
أخلاقهـم فـي الحسـن

ثم قلـت لصـاحبي مالـك فـي الجـدال خصـيم ، تقـول القيصومة ، وأنا أقول القصـيم ، فلمـا وصـلنا تلـك الـديار، وعانقنا الأخيار ، وجدنا أهل الديانة ، والأمانـة ، والصـيانة .

عفـاف فـي طهـر ، كـأنهم نجـوم زهـر ، أشـاد بمكـارمهم الدهر .

قل للريـاح إذا هبـت حي القصيم وعـانق
غـواديهـــــــــا كـــل مـــن فيهـــا
ولكتب علم أرضهم أرض الديار [illegible]

الهقاهَة
الدَّعْهَة

ثـم دخلنـا حائـل ، والقلـب إليهـا مائـل ، فلقينـا أبنـاء المكارم ، وعانقنا أحفاد حاتم ، فرجح حبهم في الميـزان ، وحدثناهم في جامع بـرزان ، واعتـذرت مـن إبطـائي ، ثـم ألقيت قصيدة نادي الطائي :

لا عيب فيهم سوى أن
يسلو عن الأهل بل كـل
فـي حائـل قـد بنـى
أبوهمـوا فـي المعـالي

ولما هبطنا الباحة ، وجدنا الأنس والراحة ، وقد عـانق القلب أفراحه ، ونسي أتراحه ، فغمد حسام الإسلام غامد ، كم بها من عابد ، وزاهد ، وساجد .

وزهرة المكارم زهران ، صرت في ليلـي عنـدهم مـن الفرح سهران ، سيرتهم أطيب سيرة ، وسريرتهم أحسن سريرة ، لأنهم أبناء أبي هريرة :

في الباحة الغـراء كان
مـا أحسـن اللقيـا بلا
شيدت بها الأخلاق في
تلقـــاك بالأجـــواد

وقد هبطنا تهامة ، فلا ملل ولا سـآمة ، وأقمنـا أحسـن إقامة ، فوجدت الجود خلفـي وأمـامي ، ولمسـت الإكـرام ورائـي وقـدامي ، وكفـاهم أن الرسـول تهـامي ، تفيـض وجوههم ممـا عرفـوا مـن الحـق ، وتشـرق وجـوههم ممـا حملوا من الصدق :

أتهمــت فــي طلــب

يـا ابـن المحبـة والـوداد

لمـا أتيــتهموا نسـيت

ضـيعت قبـل وصـولهم

ولما أتينا جيزان ، والجو قد زان ، نسـينا مـن السـرور الأهـل والجيـران ، ووجـدنا الحلقـات الشـرعية ، والآثـار القرعاوية ، والجهود الدعوية ، والكل منّـا يلاحـظ التلاميـذ الحكمي حافظ ، حيث ولدت العبقريـة ، ولازالـت القرائـح غضـة طريّـة ، ولمسـنا العـزم والهمـم ، ووجـدنا الجـود والكرم :

جازان إني من هــواك

أشــجيتني وأنــا الــذي

يا فتنة النّـادي طربـت

مـا يشـبه الأحلام مـن

وأهم ما يُدعى إليه التوحيد ، فإنه حق الله على العبيد ، ومن أجله بعث الرسل ، وكل كتاب به نـزل ، وهـو رأس العمل . وعلى الداعية أن يعمل بما يقول ، ليضـع اللـه لـه القبول ، فكل من ترك الهدى فهو مخذول ، كلامه سـاقط مرذول .

ولتكن للداعية نوافل وأوراد ، وحسن خُلق مع العباد ، وإصلاح لنفسه وجهاد ، ومحاسبة لها قبل يوم التناد .

وليكثر من الأذكار ، بالعشي والإبكار ، وليراقب الواحد القهار ، مع قراءة سيرة الأخيار، ومصاحبة الأبرار ، والزهد في هـذه الـدار ، وليعتقـد فـي نفسـه التقصـير ويعـترف ، ويخشى مما اقترف ، ويبكي علـى مـا سـلف ، وعلـى مـا كـان عليـه السـلف يقـف ، وليسـلم مـن الهلاك والتلـف ، وليتقيّد بما شـرع ، وليحـذر البـدع ، فـإن النفـس أمّـارة ، والنفــس غــرّارة ، وليجــوّد العبــارة ، ويحســن الإشــارة ، وليوقر الكبير ، ويرحـم الصـغير ، ويعطـف علـى الفقيـر .

وليأت المنابر بعزم وثـاب ، وقلـب غيـر هيّـاب ، وأسـلوب جـذّاب ، وليعـد العـدة قبـل أن يلقـي الخطـاب ، وليتـذكر حديث : ((لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)) ، فإن هذا من أجل النعم ، وليحمد ربه وليشـكر ، حيث جعله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وليعلـم أن معلم الخير ، وناصح الغير ، يستغفر لـه الطيـر ، والحـوت في الغدير . فطوبى لمن كان للرسول خليفة ، وما أجلهـا من وظيفة ، فهي المنـزلة الشريفة ، والدرجـة المنيفـة ، فهذا عمل الأنبياء ، وشغل العلماء ، وقربة الأولياء ، فهنيئاً له الأجر ، ورفعة الذكر ، وجلال القدر ، وصلاح الأمر .

فسبحان من اصـطفى مـن عبـاده دعـاة إلـى الجنة ، أعلاماً للسنة ، له عليهم أجل نعمة ، وأعظم منّة .

المقـامَــات الـوعظـيــة

﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (59) وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ (60) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ

أمـا والله لـو علـم الأنـــــــــام لمـــا خلقـــوا لمـــا غفلـــوا ونـــاموا

قلنـا لأحـد العلماء ، النبلاء ، الأوليـاء : عظنـا موعظـة ، للقلوب موقظة ، فـإن قلوبنـا بالـذنوب مريضـة ، وأجنحتنـا بالخطايا مهيضة ، فنحـن قـد أدمنّـا الـذنوب ، وعصـينا علاّم الغيوب ، حـتى قسـت منـا القلـوب ، فقـال : واحـرّ قلبـاه ، واكرباه ، يا ربّاه ، يا ابـن آدم تـذنب ولسـت بنـادم ، الأنبيـاء يبكون ، والصـالحون يشـكون ، تتـابع المعاصـي ، وتسـتهين بمن أخذ بالنواصـي ، ويحـك كيـف تلعـب بالنـار ، وتسـتهين بالجبار ، يغـذيك ويعشّـيك ، ويقعـدك ويمشـيك ، ثـم تنهـض على عصيان أمره ، مع علـوّ قـدره ، وعظيـم قهـره ، ويلـك هذا الملـك كسـر ظهـور الأكاسـرة ، وقصّـر بـالموت آمـال القياصرة ، وأرغم بالجبروت أنوف الجبابرة ، الروح الأميــن

، وَجِل مسكين ، من خوف القـويّ المـتين ، ومحمـد يتهجـد ويتعبد، وهو الذي دعا كل موحِّـد ، ومـع هـذا يتوعـد ويهـدد ، من ركن لكل كافر وملحد .

أين عقلك يا مغرور ، هل نسـيت يـوم العبـور ، وسـاعة المرور ، كل طائر من خوفه يخرُّ صـريعًا ، وكـل كاسـر يئـن من خشيته وجيعًا ، أبو بكر انتفـض مـن خـوفه كالعصـفور ، وصار صدره بالنشيج يفور ، وسـقط الفـاروق مـن الخشـية على الرمال ، حـتى حُمِـل علـى أكتـاف الرجـال ، وبقـي ذو النورين ، من منظر القبر يبكي يومين ، وهذا علـي بـن أبـي طالب دموعه من التذكر سواكب ، كان عمر بن عبد العزيز ، يرتعد ولصدره أزيز ، ويقول : يا قوم ، اذكروا صباح ذلك اليوم ، ويلك والله لو أن القـرآن نـزل علـى صـخر لتفجـر ، ولوهبط على حجر لتكسر ، وتقرؤه وأنت لاهٍ سـاه ، تتفكـر في المنصـب والجـاه ، كـأن الليـالي لا تطويـك ، والكلام لا يعْنيك ، تدفن الآباء والأجداد ، وتفقد الأخـوة والأولاد ، وأنـت لازلت في إصرار وعناد ، سبحان الله تغترّ بالشباب وتزيّن الثياب ، وتنسى يوم يُهال عليك التراب :

الموعظة الموعظة

أبداً تصرُّ على الذنوب

وتكــثر العصــيان منــك

أبـداً ولا تـبكي كأنــك

وأراك بيـــن مـــــودِّعٍ

لا تغفل ذكره ، ولا تنس شـكره ، ولا تـأمن مكـره ، هـو الذي عفـر بـالطين ، أنـف فرعـون اللعيـن ، وفـرّق جنـوده أجمعين ، مسـاكن مـن عصـاه قـاع قرقـر ، بعـد مـا أرسـل عليهم الريح الصرصر ، إذا غضب دمر المنازل على أهلهـا ، وسـوّى جبالهـا بسـهلها ، شـابَ رأسُـك، ومـا خـفّ بأسـك ، ومازال فـي المعاصـي فأسـك ، مـا لـك مـا تـردّك الآيـات ، ولا تزجرك العظات ، ولا تتذكر الأمـوات ، مصـرٌّ مسـتكبر ، تركب كل أمر منكر .

سمع ابن وهب آية

المقامة الوعظية

سعيد بن المسيّب ، الإمام المحبب ، والزاهد المقـرب ، ذهبت عينه من كثرة الدموع ، واصفر وجهه من الخشوع ، وهو مـا بيـن سـجود وركـوع ، يزيـد بـن هـارون ، الإمـام المأمون ، عمي من البكاء ، فما أنّ ولا اشتكى ، فقالوا له : مـا فعلـت عينـاك الجميلتـان ، فقـال : أحتسـبهما عنـد الواحـد المـديّان ، أذهبهمـا بكـاء الأسـحار ، وخـوف الواحـد القهار. والله إن فينا علّة ، ننام الليل كلّه ، كأنـا لسـنا مـن أهل الملّة .

شـــغلنا بالـــبنين ولـم نسـرع إلـى دار
وبالحـــــــطام السـلام
كأنـــا قـــد خلقـــنا وإكثـار الشـراب مـع

الملَـك حمـل الصـور لينفـخ ، والملائكـة تكتـب عليـك وتنسخ ، وأنت بالذنوب ملطّخ، ما تبكي لك مقلة ، كأنك أبله ، كان ابن المبارك من البكاء يخور ، كأنه ثور منحـور ، وابـن الفضيل يموت في الصلاة ، لأنه سمع من الإمام قرآناً تلاه ، ترك ابن أبي ذئب القيام لأمير المؤمنين ، وقال ذكرت يـوم يقوم الناس لرب العالمين ، كان ميمـون بـن مهـران ، كـأن

عينيه نهران ، حفر له في البيت قبر ، إذا رآه فكأنه يُنقر في قلبه نقر ، يا ويلاه القبر القبر .

يقول أحد السلف : يا مغـرور إن كنـت تظـن أن اللـه لا يراك ، وتفعل هذه الأفعال فأنت شاكّ ، فما غـرّك وألهـاك ، وإن كنت تعلم أنه يبصر أفعالك ، ويحصي أعمالك ، ويراقب أقوالك ، ثم تتجرَّأ على محارمه ، وتسـتهين بمعـالمه ، فقـد سُلب قلبُك ، وأُخذ لُبّك.

ولو أن قلباً يعرف الله
لـــديه نعيـــم العيـــش
فمـــا هـــي إلا جيفـــة
كلابٌ فلا تخـــــــــدعك

ابن تيمية يمرغ وجهه في التراب ، وينادي يـا وهّـاب ، يا فاتح الأبواب ، الطف بنا سـاعة الحسـاب ، وأنـت ميّـت الإرادة ، ظـــاهر البلادة ، عريـــض الوســـادة . الملائكـــة يسـبِّحون الليـل والنهـار لا يسـأمون ، ويـذكرون ربهـم ولا يفترون ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مـا يـؤمرون، ولم يعملوا سيئات ، ولم يقترفوا خطيئـات ، ولـم يرتكبـوا موبقات ، ونحن أهل العصـيان ، والتمـرد والنكـران ، ومـع هـذا ترانـا لاعـبين ، وفـي طـرق اللهـو سـاربين، ولِكـأس الغفلة شـاربين ، الأمـر فصـل، وجـدٌّ ليـس بـالهزل ، يـوم قمطرير ، شرُّه مستطير ، تكاد القلوب منه تطير ، تـذهل المرضعة عما أرضعت ، وتُسقط الحامل ما حملت ،وتـرى كل نفس ما عملـت ، الخلائِـق تضـيق نفوسـهم ، الولـدان تشيب رؤوسهم .

المقامة العاشرة

هـدِّ مـن لهـوك شـيئاً إنّ أمـر الله فينـا جِـدَّ
هـــــدِّ هَـــــدّ جـــــــــــدّ
أرغِـم النفـس علـى فاز من في عمره كَدّ

أراد علي بن الحسين أن يلـبي علـى الراحلـة ، فسـقط من الخوف بين القافلة ، فلما أفاق ، قال للرفـاق : أخشـى أن أقول لبيك ، فيقول : لا لبيـك ولا سعديك ، مـع أنـه زيـن العابدين ، وريحانة المتهجدين ، لكـن القـوم عرفـوا ربهـم ،

فبكوا ذنبهم ، وجمعوا خـوفهم وحبهـم ، فيـا صـاحب العيـن الـتي لا تـدمع ، والنفـس الـتي لا تشـبع ، والقلـب الـذي لا يخشع ، إلى متى تؤجِّل التوبة ، أما لك أوبة :

فيـا دمـع هـذي ليلـة
فهـات غروبـاً تـبرد
ويا قلب قـد عاهـدتني
كأنـك لا تجـزعْ مـن

العمر قصير ، والشيب نذير ، والدار جنة أو سعير ، نراك تضحك كأنك أتاك أمان، من الملك الديان ، ما لك لا تحزن، هل عبرت الصراط حتى تأمن، الندم على ما فرطت أحسن ، يا مسكين : إبراهيم الخليل ، وهو النبي الجليل، بكى ذنبه ، ودعا ربه، وقال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ ، فكيف بنا نحن المذنبين ، خلقك فسوّاك ، وأطعمكَ وسقاك، وآواك وكساك ، ومن كل بلاء حسنٍ أبلاك، ثم تعصيه وهو يراك :

نُسِجت لنا الأكفان من
ونظـلُّ نضـحك مـا لنـا
أوَ ما ذكرت القبر أول
يـلقاك فيه منكر ونكيـرُ

المقامة العظمة

أحسن ماء دموع التائبين ، أعظم حزن حزن المنيـبين ، وأهنـأ نعـاس نعـاس المتهجـدين، أجمـل لبـاس لبـاس المحرمين ، ما ألذ جوع الصائمين ، ما أسعد تعب القائمين ، مـا أكـرم بـذل المتصـدقين ، أيـن المبـاني والمغـاني ، أيـن الغواني والأغاني ، أين الأفراح والتهاني ، أين من شاد وساد ، أيـن ثمـود وعـاد ، أيـن ساسـان ، وقحطـان ، وعـدنان ، وفرعون وهامان ، أين مُلك سليمان ، أين أصحاب الأكاليـل والتيجان ، فَإِنِ [illegible] .

المقامة الوعظية

المقامَة الوعظية

أمّا بعد ، فإن الله تعالى أنزل كتابه العزيز ، وحرّره أيما تحرير ، فهو لكل مؤمن سمير ، وبكل نفع جدير ، فأغلقتَ عليه في زنزانة ، كأنك ما عرفت شانه ، ولا شكرت إحسانه ، واستبدلته بكتاب ألف ليلة وليلة ، وجعلته إلى اللهو وسيلة ، وللعب خميلة ، ولطلب الدنيا حيلة ، تغفل الآيات البينات ، والحكم البالغات ، والنصائح والعظات ، وتقبل على كتاب الأغاني ، للأصفهاني ، وهو فيما قال جاني .

خف الله واحفظ ذا سريع التقضي
الزمان فإنه مخلف الحسراتِ

أسأل الله بالاسم الأعظم ، والوصف الأكرم ، فإنه الأعلم الأحلم الأحكم ، أن يهدي قلبي وقلبك ، وأن يغفر ذنبي وذنبك ، وأن ينير بالوحي دربي ودربك.

المقـامَـــــة الـجـهـاديـــــة

﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقـامَـــة الـزهـديَّـــة

((كـن في الدنيـا كأنك غريب أو عابـر سـبيل))

أرى أشقياء الناس على أنهـم فيهـا
لا يسـأمونها عـراة وجـوّع
أراهـا وإن كـانت سحابة صـيف عـن

قـال سـعيد بـن أدهـم ، ركبـت الأدهـم ، وذهبـت إلـى السلطان أطلبه فـي درهـم ، فوضـع فـي رجلـي الأدهـم ، فمر بي الزاهد علي بن دينار ، وهو أحد الأبرار ، فقال لي مالك يا سعيد ، أراك في الحديد ، فقلـت : واللـه الـولي ، ما سرقت يا علي .

قال : فما الشأن ؟

قلـت : أتيـت السـلطان ، أطلـب الجـود والإحسـان ، فوضعني في هذا الهوان .

فقال : أف عليك وتف ، ومن التراب اسـتف . تطلـب السـلطان ، وتنسـى الرحمـن ، تسـأل البخيـل ، وتـترك الجليل ، تباً لك ، أفي قلبك شك ، تـأتي مـن أغلـق بـابه ، وأسدل حجابه ، وحرم أصحابه . وتترك المعبود ، الذي ملأ العالم بالجود ، وأغدق على الخلق العطاء الممدود .

قلـت : يـا علـي غلطـت غلطـة ، وسـقطت سـقطة ، وتورطت ورطة ، ووالله لئن فـرّج اللـه عنـي ، وفـك هـذا القيد مني ، لا آتي بشرا ، ولـو طلـب مجيئـي بشـراء ، ولا أقصد الصعلوك ، بل أقصد ملـك الملـوك ، فلمـا أطلقنـي مـن الحبـس ، وعـادت إلـيّ النفـس ، تركـت بـاب الأميـر ولزمت بيتي على خبز الشعير . فعاد لي لبي ، وجعل الله غناي في قلبي ، فوالله إنـي أرى المـترفين فـي حسـرة ، وإن ملـك كسـرى عنـدي مـا يسـاوي كسـرة . فأنـا بيـن المسجد والبيت أرضى بالقوت ، لا مـال يفـوت ، ولا ولـد يموت ، ليس عندي بنـز ، ولا كنـز ، ولا أرز ، ولكن عنــدي دين وعلم وعز ، فأنا أسعد مـن كسـرى أنـو شـروان ، إذا حف به الخدم في الإيوان ، وأنعم عيشاً من النعمان ، فأنا

أسكن الكوخ ، وآكل العدس المطبوخ ، لا ألبس الجوخ ولا آكــل الخــبز المنفــوخ . ليــس عنــدي دار ، ولا عقــار ، ولا حمار ، ولا دينار .

أنام بلا هموم ، وأبيت بلا غموم ، لا أعرف عَدّ المـال ، ولا شد الجمال ، ولا مبايعة الرجال ، لا أعرف الريـال مـن القرش ، ولا أميّـز بيـن الكنـب والفـرش ، معـي قميـص ، وبطن خميص ، لا أعرف الكبسة ولا الخـبيص ، مـا يـأتيني في النوم كوابيس ، ولا أشعر في النهار بالهواجيس .

فأنا أسعد من رأيت ، وأنعم من لقيـت .معـي كتـاب ، أغناني عن الأصحاب ، وسلاني عن الأحباب . معي ملحفـة للمنام ، وجفنـة للطعـام ، وعصـا للقيـام . لا أخـاف علـى نفسي العين ، ولا يطلبني أحد بدين ، ولا أسـأل مـال هـذا من أين ؟

فأنا خفيف الظهر ، دائم البشر ، قليل الوزر ، ما بعـت ولا شـريت ، ولا اكتــريت ولا اقتنيـت ، لا أخشـى سـقوط بيت ، ولا ذهاب مَيْت. نجوت من الضغط والسـكر ، لأننـي في غير الآخرة لا أتفكر ، في قلبي عيـادة السـعادة وفـي صـدري بنـك السـرور ، ومصـرف الحبـور ، وعنـدي علـم وإيمان ونور على نور ، أعجب من الفجار والتجار ، وأقول ما هذا الشجار . أتقتتلون على جيفه ؟ ما تساوي قطيفة ، سحقا لعقولكم السخيفة .

أين كنوز قارون ؟ أين ما مضى من القرون ؟ أيـن مـا جمعوا ، وأودعوا ، وشيدوا وأبدعوا ؟ لا قصور ، لا دور ، لا أنهار ، لا أشـجار . ذهبـت الأبـدان والأرواح . وبلـي القفـل والمفتاح . فصدقني ما عاش عيشتي هارون الرشـيد ، ولا الكـاتب عبـد الحميـد ، ولا الرئيـس ابـن العميـد ، نفسـي والحمد لله رضية ، وعيشتي هنيـة ، وقـد نجـوت مـن كـل بلية ، فأنا لا طـالب ، ولا مطلـوب ، ولا أخشـى مـن كنــز منهوب ، ولا من مال مسـلوب . ولا أقـف علـى الأبـواب ، ولا أتمرغ على العتاب ، وما قبلت يـد كـذاب ، طمعـا فـي طعام وشراب ، وما قلت للكلب يا سيدي ، ويـا عضـدي ، ويا مؤيّدي :

واعلم بأن عليك العار من عضة الكلب لا من

وأحيانـا أجلـس أمـام كـوخي وسـقفي السـحاب ، ومخدتي صـبرة مـن الـتراب ، وجليسـي الكتـاب . فـوالله إنني أطيب عيشاً من الناصر في الزهراء ، وسيف الدولـة فـي حلـب الشـهباء ، مـا اسـتذلني متكـبر ، ولا مَـلَّني متجبر ، ولا نهرني متهوّر :

المقامة الزهدية

أنا لا أرغب تقبيل يـد قطعهـا أحسـن مـن
إن جزتنـــي عـــن تلـــك القبـــل
صـنعي كنـت فـي رقهـا أو لا فيكفينـي

ثم إن هناك مصلحة لي في هذا الزهد ، وهو السـلامة من الجهد ، يوم تنصب الموازين وتكشف البراهين ، فلـن أقف طويلاً للقضاء ، كما يقف الأغنياء ، وكفاك بهذا حسنة ، لحـديث ((يـدخل فقـراء أمـتي الجنـة ، قبـل الأغنيـاء بخمسمائة سنة)) ، فياله من مكسب رابح ، ومـن ميـزان راجح ، وما عندي مال في البنوك الربويّة ، ولا مسـاهمات عقاريـة ، ولا شـركات اسـتثمارية ، بـل عنـدي أغلـى ، وأعلى ، لأن البر لا يبلى . فإذا كنـز الناس الدرهم والدينار ، كنـزت الأذكـار ، وعمـل الأبـرار ، وأنـا أخـذت بُغْـض الدرهم ، من إبراهيم بن أدهم ، والزهد فـي الـدينار ، مـن مالك بن دينار ، والورع عن العطاء ، من ابن أبي رباح بـن عطاء ، وأخذت قلة الرغبة من الدنيا ، من ابن أبي الدنيا ، وقـد رأيـت القبـور ، فـإذا المعظـم بجـانب المحتقـر ، قـد اجتمـع بهـا المخـبر ، والخـبر ، وتغيـرت بهـا تلـك الصـور ، فالـمَلِك في جوار المملوك ، والغَنِيُّ في حفرة الصعلوك ، والقَوِيُّ مـع الضـعيف ، والوضـيع مـع الشـريف فبعـد هـذا المشـــهد ، أقســـمت أن أزهـــد ، فلزمـــت المصـــحف والمسجد ، أتعبد وأتهجد ، وعلى المقابر أتردد ، فعوضـني ربي بالهم سرورا ، وبالحزن حبورا ، وبظلمة الـدنيا نـورا ، وقد هيأت حنوطي وأكفاني ، وكفاني القليل كفاني .

وهـذا واللـه عيـن العقـل ، وموافقـة النقـل ، ونهـج الصالحين من بعد ومن قبل ، فمال للقوم كأنهم في نوم ، صرعتهم الشهوات ، وزلزلتهـم الشـبهات ، أحبـوا الـتراب

والخــراب ، والثيــاب والشــراب ، وزهــدوا فــي الكتــاب والثـواب ، ونسـوا الحسـاب والعقـاب ، أنسـاهم القـرش النعـش ، فـي التهـام وهـرش ، مـا تهزهـم الرقـائق ، ولا تردعهم الحقائق ، كلامهم في الأسـعار والعمـار والعقـار ، وحديثهم عن الدرهم والدينار ، ما يذكرون الجنة ولا النار .

الجلوس معهم يميت القلب ، ويضاعف الـذنب ، لكـن الأعمى لا يرى الصباح ، والميت لا يحس بـالجراح . ولكـن الصخر لا يسمع الكلام ، وما لجرح بميت إيلام .